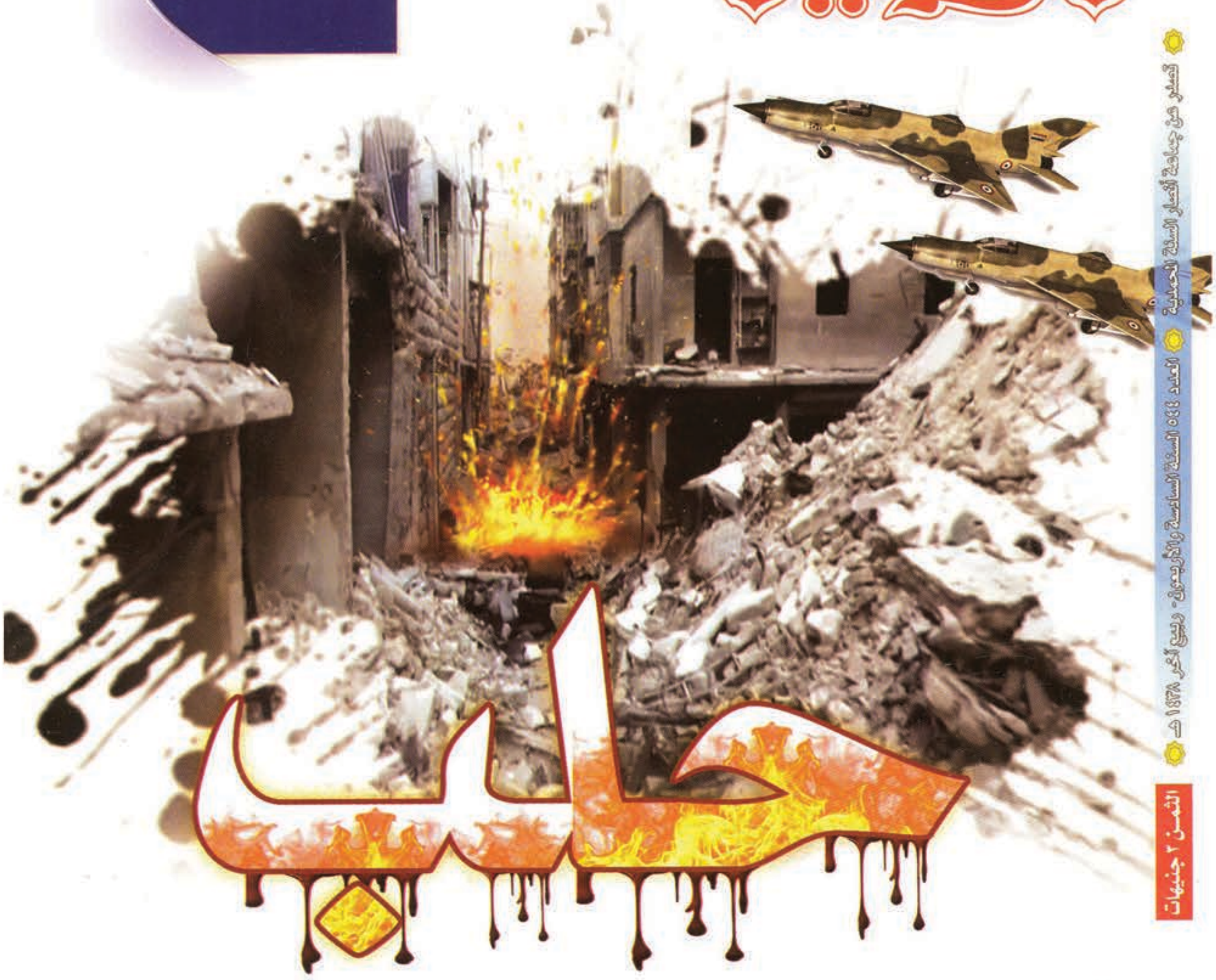
التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية • العدد ٥٤٤ السنة السادسة والأربعون - ربيع آخر ١٤٣٨ هـ • الثمن ٣ جنيهات

هم العدو فاحذرهم



حلب

في ظل التخاذل العربي والإسلامي !!

- بدعة تخصيص ليلة رأس السنة بالذكر والدعاء
- الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس
- التحذير من الغفلة



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

هم العدو فاحذرهم

الفرق الضالة لهم تاريخ مع أهل السنة يقطر حقدًا ودمًا، وقد ظهر حقدهم الدفين جليًا في هذه الأيام، وقد حرص علماء الأمة على التحذير من هذه الفرق، ومن أمثلة ذلك قول الإمام ابن حزم الأندلسي، رحمه الله (ت٤٥٦هـ) في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (١٧١/٤): «اعلموا- رحمكم الله-: أن جميع فرق الضلالة:

- لم يُجرِ الله على أيديهم خيرًا.
- ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية.
- ولا رفع للإسلام بهم راية.
- وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين.
- ويفرِّقون كلمة المؤمنين.
- ويسلُّون السيف على أهل الدين.
- ويسعون في الأرض مفسدين.

أما الخوارج والشيعة فأمرهم في هذا أشهر من أن يتكلف ذكره». اهـ.

فاللهم احفظ الإسلام والمسلمين، وأيِّد بنصرك المستضعفين.. آمين.

التحرير

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي



ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الأسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

في هذا العدد

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

آداب طلبة العلم

الحلقة الثالثة

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وبعدُ؛

فأواصل الحديث- بتوفيق الله تعالى- حول آداب طالب العلم، وقد ذكرت فيما مضى خمسة آداب مهمة، وبقي حديث حول ذلك لا يقل أهمية عما مضى، ومن ذلك:

٦- تحمُّل المشقة في طلب العلم:

العلم شيء كبير وعزيز، ولا بد من بذل الوسع والطاقة في تحصيله، والإقبال عليه بنَهَم، وترك الملذات والابتعاد عنها، وقد ضرب أكابر الصحابة المثلَ الأعلى في ذلك، حيث كانوا يتناوبون في الجلوس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حتى لا يفوتهم شيء من العلم، وقد عقد البخاري رحمه الله في الصحيح (تحت كتاب العلم) بابًا قال فيه: «باب التناوب في طلب العلم»، ثم ساق حديث ابن عباس عن عمر وفيه يقول: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد- وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يومًا، وأنزل يومًا، فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك». (البخاري: ٨٩).

قال ابن حجر في شرحه: «وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه؛ ليستعين على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته». (فتح الباري: ١/١٨٦).

وحبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ما بلغ هذه المرتبة في العلم إلا بالسعي الجادّ في التحصيل، وإليكم ما ذكره هو عن نفسه كما رواه الحاكم؛ قال ابن عباس: «لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شابٌّ، قلت لشاب من الأنصار: هلمَّ فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنتعلم منهم، فإنهم اليوم كثيرٌ، فقال: يا عجبًا لك يا ابن عباس؟ أتُرى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن فيهم؟ قال: فترك ذاك، وأقبلت أنا على المسألة وتتبُّع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كنتُ لآتي الرجلَ في الحديث يبلغني أنه سمعه من

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجده قائلاً- أي: نائمًا في منتصف النهار- فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريح على وجهي التراب حتى يخرج، فإذا خرج قال: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك؟ هلاّ أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحببت أن أسمعه منك، فكان الرجل بعد ذلك يراني واجتمع حولي الناس يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني». قال الحاكم بعد سياقه: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري، وهو أصل في طلب الحديث وتوقير المحدِّث». (المستدرك ١/١٠٦، ١٠٧).

وقال الحاكم أيضًا في طلبة العلم وأصحاب الحديث: «آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار، وتنعموا بالبؤس في الأسفار، مع مساكنة أهل العلم والأخبار.. فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس، فعقولهم بلذاذة السنة غامرة، وقلوبهم بالرضا في الأحوال عامرة، تعلُّم السنن سرورهم، ومجالس العلم حُبورهم، وأهل السنة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرهم أعداؤهم». (معرفة علوم الحديث ص٢، ٣).

وقد أفاد وأجاد الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح رحمه الله عند ذكره لأثر ليس من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما ذكره لبيان بذل الغالي والنفيس في تحصيل العلم، والأثر بإسناده كما رواه: «حدثنا يحيى بن يحيى التميمي، قال: أخبرنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير، قال: سمعت أبي يقول: لا يُستطاع العلم براحة الجسد». (مسلم: ٦١٢).

قال النووي رحمه الله في شرحه لهذا الأثر، ولماذا ساقه الإمام مسلم في صحيحه مع أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم: «جرت عادة الفضلاء بالسؤال عن إدخال مسلم هذه الحكاية عن يحيى مع أنه لا يذكر في كتابه إلا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم محضة، مع أن هذه الحكاية لا تتعلق بأحاديث مواقيت الصلاة، فكيف أدخلها هنا؟ وحكى القاضي عياض رحمه الله تعالى عن بعض الأئمة أنه قال: سببه أن مسلمًا رحمه الله تعالى أعجبه حسن سياق هذه الطرق التي ذكرها لحديث عبد الله بن عمر، وكثرة فوائدها، وتلخيص مقاصدها، وما اشتملت عليه من الفوائد والأحكام وغيرها، ولا نعلم أحدًا شاركه فيها، فلما رأى ذلك أراد أن ينبّه مَن رغب في تحصيل الرتبة التي ينال بها معرفة مثل هذا فقال: طريقه أن يكثر اشتغاله وإتعابه جسمه في الاعتناء بتحصيل العلم». (شرح النووي على مسلم ٥/١١٣، ١١٤).

قلتُ: وفي هذا الأثر من الفوائد أيضًا: علوّ همم هؤلاء المتقدمين وحرصهم على طلب العلم، وفرحهم بما يتوصلون إليه من فرائد وفوائد، وتتبُّع مثل ذلك يطول، ولكني أختم هذه الفقرة بما ذكره أبو القاسم الطبراني عن نفسه حين سُئل عن كثرة حديثه فقال: «كنت أنام على البواري- أي الحصر- ثلاثين سنة». (تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/٨٦).

ومما يدخل في تحمُّل المشاقّ في طلب العلم: ترك الأوطان، والتنقل والترحال في طلب الحديث، والتزود من العلم، وكان الأئمة السابقون رحمهم الله يعتبرون الرحلة في طلب العلم جزءًا أصيلاً من حياتهم العلمية، ومن لوازم طلب الحديث، وقد ألَّف الخطيب البغدادي في ذلك كتابًا عنونه بقوله: «الرحلة في طلب الحديث»، وذكر فيه اهتمام المحدثين وسفرهم الليالي والأيام في طلب الحديث، حتى إن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رحل إلى بعض الصحابة ليسمع حديثًا واحدًا لم يكن قد سمعه.

وقد عقد البخاري بابًا في كتاب العلم من صحيحه قال فيه: «باب الخروج في طلب العلم، ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد

الله بن أنيس في حديث واحد».
قال ابن حجر في شرحه للحديث: «قيل لأحمد: رجل يطلب العلم يلزم رجلاً عنده علم كثير أو يرحل؟ قال: يرحل، يكتب عن علماء الأمصار، فيشافه الناس ويتعلم منهم.
وفيه ما كان عليه الصحابة من الحرص على تحصيل السنن النبوية». (فتح الباري ١/١٧٥).
وقال ابن جماعة وهو يتحدث عن آداب المتعلم في نفسه: «الثالث: أن يبادر شبابه وأوقات عمره إلى التحصيل، ولذلك استحبَّ السلف التغرُّب عن الأهل، والبعد عن الوطن؛ لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن دَرْك الحقائق وغموض الدقائق، ولذلك يقال: العلم لا يعطيك بعضه حتى تُعطيه كُلك». (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ص٧٠).
وإليك- أيها القارئ الكريم- هذه الحكاية اللطيفة التي ما كانت إلا بسبب الرحلة في طلب العلم: «قال عبد الله بن فروُّخ الفارسي: لما أتيت الكوفة وأكثر أملي السماع من الأعمش، فسألت عنه فقيل لي: غضب على أصحاب الحديث فحلف ألا يُسمعهم مُدة. فكنت أختلف إلى باب داره لعلي أصل إليه، فلم أقدر على ذلك، فجلست يوماً على بابه، وأنا متفكر في غربتي وما حُرِمْته من السماع منه، إذ فتحت جارية بابه يوماً وخرجت منه، فقالت لي: ما بالك على بابنا؟ فقلت: أنا رجل غريب، وأعلمتها بخبري. قالت: وأين بلدكم؟ قلت: إفريقيا. فانشرحت إليّ وقالت: تعرف القيروان؟ قلت: أنا من أهلها. قالت: تعرف دار ابن فروخ؟ قلت: أنا هو. فتأملتني ثم قالت: عبد الله؟ قلت: نعم. وإذا هي جارية كانت لنا بعناها صغيرة، فسارعت إلى الأعمش وقالت له: إن مولاي الذي كنت أخبرك بخبره بالباب، فأمرها بإدخاله، فدخلت وأسكنني بيتاً قبالة بيته، فسمعت منه وحدثني وقد حرم سائر الناس إلى أن قضيت أربي منه» (ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣/١١٠).

وهذه نماذج يسيرة من أخبار علماء رحلوا واستفادوا، رحمهم الله تعالى.
وأختمها بالحافظ الرحالة أبي طاهر أحمد بن محمد الملقب بالسِّلفي رحمه الله وقد تجاوز عمره المائة.
قال أبو شامة: قال شيخنا علم الدين السخاوي: «سمعت يومًا أبا طاهر السلفي ينشد لنفسه ما قاله قديمًا:

أنا من أهل الحديث وهم خير فئة
جزت تسعين وأرجو أن أجوزن المئة

قال: فقيل له: قد حقق الله رجاءك، فعلمت أنه قد جاز المئة، وذلك في سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة.
قال الذهبي في ترجمته: «وارتحل، وله أقل من عشرين سنة، فدخل بغداد ولحق بها أبا الخطاب ابن البطر، وسمع منه نحوًا من عشرين جزءًا، كان يتفردُ بها، فتفرد هو بها عنه، وحجَّ فسمع بمكة من أبي شاكر العثماني، ثم ارتحل سنة خمسمائة، فسمع من محمد بن جعفر العسكري وطائفة بالبصرة، وبقي في الرحلة ثمانية عشر عامًا، يكتب الحديث والفقه والأدب والشعر، ثم استوطن ثغر الإسكندرية بضعًا وستين سنة، إلى أن مات ينشرُ العلم ويُحصِّل الكتب التي قل ما اجتمع لعالم مثلها في الدنيا، ولما دخل الإسكندرية رآه كُبراؤها وفضلاؤها، فاستحسنوا علمه وأخلاقه وآدابه، فأكرموه وخدموه. قال عبد القادر الحافظ: وكان أبو طاهر لا تبدو منه جفوة لأحد، ويجلس للحديث فلا يشرب ماءً، ولا يبزق ولا يتورك، ولا تبدو له قدم، وقد جاوز المائة». (باختصار من سير أعلام النبلاء ٢١/٥- ٣٩).
قلتُ: هؤلاء هم أئمتنا الأعلام- رحمهم الله-، وهذه بعض جهودهم في العلم والتحصيل، وقد فتح الله عليهم وأنار بصيرتهم بالعلم، أسأل الله سبحانه أن يعطينا مما أعطاهم.
وللحديث بقية بإذن الله تعالى.

سقوط حلب.. والتخاذل العربي والإسلامي!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

إن مصاب حلب الشهباء مصابٌ جلل وكربٌ عظيم، وبلية كبرى، وهو مصابُ كل مسلم؛ قتل الآباء والأبناء، وشرِّد الأهل والأحبة، وهُدمت البيوت، وتفرَّق الأهلون، ومع كل ذلك فإن المؤمن الحق ليرى الخير كل الخير في أقضية الله كلها؛ لأنه قد علم من كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن الخير بيد الله، والشر ليس إليه سبحانه، وأن أمر المؤمن كله خير، قال صلى الله عليه وسلم: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». (رواه مسلم: ٢٩٩٩).

والتآمر لحرق أهل حلب وإبادتهم تنفيذًا لسياسة الأرض المحروقة، ولقد كان المشهد محزنًا، ولا عزاء للأمة العربية والإسلامية التي شغلت عن المشهد بفعل فاعل في تكملة للمشهد الدولي المتآمر، والذي أدار ظهره لحرب عنصرية في حلب ضد أهل السنة، وترك المشهد للروس تدك طائراته وتدمر كل ما هو حي، وعاونوا بشار (العلوي) على إخضاع شعب سوريا تحت سطوته بعد أن قتل شعبه وأجاعه، وشرَّده في بقاع المعمورة، ولا يزال الصمت يخيم على الجميع، وحسبنا الله ونعم الوكيل!!

بشرى للمستضعفين في حلب وأرض الشام

مدينة حلب التي تُرك المشهد فيها يرسم تفاصيله مَن تعاودهم شهوة الاستعمار القديم والإمبراطوريات السابقة وأحلام الروافض في سعيهم الحثيث للسيطرة على بلاد الشام، فتعاون الروس والإيرانيون وغيَّر البعض من جلده، وتعاون مع بشار الأسد المجرم الآثم لإبادة واقتلاع أهل السنة في حلب في مرحلتهم الأولى، تتلوها مراحل أخرى في حلب الغربية وادلب، وريف دمشق، والرقة، وحماة، وحمص، بعد أن تقاعس العالم العربي والإسلامي، وأمريكا التي انسحبت من المشهد في هدوء، بل تقاعس العالم كله وهو يرى المشاهد المؤلمة التي يندى لها الجبين، ويتم فتح ممرات لإجلاء واقتلاع أكثر من ٤٠,٠٠٠ نسمة من حلب في خطة سيطر على مشهدها الإيرانيون وحزب اللات اللبناني في سوريا بمشاركة روسيا.

ولا تزال دماء إخواننا وأهلنا وأطفالنا في بلاد الشام تنزف، ويشتد عليهم البلاء في ظل الصمت من الجميع، ومشهد المهجَّرين الذين يحاولون النجاة بأنفسهم وأطفالهم، فيغرقون في البحار، أو يهلكون في

الصحارى والقفار، وقد استُغلُّوا، واستُذلُّوا في كثير من البلدان، ووصلت أحوالهم في الشام وخارجها إلى مدى لا يعلم حقيقته إلا الله.

ولكن الله سبحانه ناصر عباده المستضعفين فهو القائل في كتابه: «حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ» (يوسف:١١٠)، وقال تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ» (البقر:٢١٤).

وعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ وَهُوَ يَسْأَلُهَا عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: «حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ» قَالَ: قُلْتُ: أَكُذِبُوا أَمْ كُذِّبُوا؟ قَالَتْ عَائِشَةُ: كُذِّبُوا. قُلْتُ: فَقَدْ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ فَمَا هُوَ بِالظَّنِّ؟ قَالَتْ: أَجَلْ لَعَمْرِي، لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ. فَقُلْتُ لَهَا: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا. قَالَتْ: مَعَاذَ اللهِ، لَمْ تَكُنْ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا. قُلْتُ: فَمَا هَذِهِ الْآيَةُ؟ قَالَتْ: هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ، فَطَالَ عَلَيْهِمْ الْبَلَاءُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمْ النَّصْرُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَظَنَّتْ الرُّسُلُ أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ؛ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللهِ عِنْدَ ذَلِكَ». (رواه البخاري: ٤٤١٩).

وفي رواية: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتِ قَوْلَهُ: «حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ» وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا أَوْ كُذِّبُوا؟ قَالَتْ: بَلْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُمْ. فَقُلْتُ: وَاللهِ لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ، وَمَا هُوَ بِالظَّنِّ. فَقَالَتْ: يَا عُرَيَّةُ لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ. قُلْتُ: فَلَعَلَّهَا أَوْ كُذِبُوا؟ قَالَتْ: مَعَاذَ اللهِ لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا، وَأَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتْ هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ، وَطَالَ عَلَيْهِمْ الْبَلَاءُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمْ النَّصْرُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَتْ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ كَذَّبُوهُمْ؛ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللهِ. (البخاري: ٣٢٠٩).

حلب تشكو تخاذلكم!!

إن القلب يعتصر ألمًا وحزنًا لمشاهد تهجير أهل السنة من مدينتهم الشهباء، التي ظلت الملاذ الآمن لأبنائها، واستعصت على الخونة محترفي الإجرام، وخنازير الروس، وكلاب النصيريين لقرون مضت.

والله غالب على أمره، وسيجعل بعد العسر يسرًا، ومن بعد الضيق فرجًا ومخرجًا، وقد يكون في كل ما يحدث عظة وعبرة لجميع المسلمين حتى يفوقوا من غفوتهم، ولا ينتظرون النصرة من أمريكا والغرب، أو من روسيا وإيران التي تسللت لتنفيذ مآربها.

إن الاختلاف والفرقة التي أصبحت العنوان الرئيس للعالم العربي والإسلامي، الذي وقف موقف المتفرج على ما يُحاك في سوريا، وما تتقاذفه الأدوار حسب المعطيات الموضوعية لتنفيذ المخططات الآثمة.

فسوريا كانت بلدًا آمنًا مطمئنًا، ولم يحدث لها ما حدث إلا بعد «الخريف العربي»، فقد جَرَّتْ دعوة وزيرة الخارجية الأمريكية- السابقة- «كونداليزا رايس»، عليها من الله ما تستحق، العرب إلى ما هم عليه من واقع حال يندى له الجبين.

نسأل الله سبحانه أن يحمي إخواننا في حلب، وفي كل شبر من أرض سوريا من كيد طغاة فارس، وجُرْم الروس، وخونة الوطن السوري، وأن تستيقظ الأمة قبل فوات الأوان، فمخططات التقسيم والإبادة والتشريد والإنهاك، ونشر الفتن قابعة في كل مكان، وكلها تصب في سبيل اقتلاع مقدرات تلك الدول التي حول إسرائيل، تأمينا لها ولسلامتها وأمن شعبها ، ثم اقتسام الكعكة بين إيران وإسرائيل، وروسيا وأمريكا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فضائل أرض الشام:

وقد جعل الله سبحانه في الشام من الفضائل ما لم يجعله في كثير من بلدان الدنيا كلها، إلا ما كان من مكة والمدينة، إنها أرض الشام المباركة، التي أمر الله تعالى بإكرام أهلها، وجعل أنبياءه يهاجرون إليها، قال الله تعالى عن إبراهيم ولوط- عليهما السلام-: «وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ» (الأنبياء:٧١) يعني الشام، وقال الله تعالى عن موسى عليه السلام: «يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ» (المائدة:٢١). يعني ادخلوا أرض الشام.

وإخوانهم قد تركوهم يُقتلون ويُحرقون ويُهجّرون من أرضهم المباركة، والصمت لا يزال يخيم على الجميع، وقد ورد في فضل الشام: عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا حِينَ قَالَ: «طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ»، قُلْتُ: مَا بَالُ الشَّامِ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ. (رواه الإمام أحمد: ٢١٦٤٦).

فيا إخواننا: اصبروا وصابروا ورابطوا، فاللهم رد كيد الأعداء في نحورهم، وانصر أهل السنة في كل مكان، ونسأله سبحانه أن يشفي صدوركم ممن ظلمكم، وأن يجمع كلمة المسلمين، وأن ينصرهم النصر المبين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



باب التفسير

سُورَةُ الأَحْقَافِ

الحلقة الخامسة

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ »

(الأحقاف: ١١-١٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِه فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُم»:

اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذِهِ الآيَةِ: فَذَهَبَ الْبَعْضُ إِلَى أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ وَالآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَالشَّاهِدُ غَيْرُ مُعَيَّنٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ مَثَلٍ ضَرَبَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ.

وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ الشَّاهِدَ هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه، وَأَنَّ هَذِهِ الآيَةَ مَدَنِيَّةٌ فِي سُورَةٍ مَكِّيَّةٍ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ الآيَةُ فَيَقُولُ لَهُ جِبْرِيلُ: ضَعْ هَذِهِ الآيَةَ فِي مَكَانِ كَذَا، مِنْ سُورَةِ كَذَا.

فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلاَّ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ. قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِه» الآيَةَ (أخرجه البخاري: ٣٨١٢).

وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ نَبِيٌّ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ». فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ. وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا». قَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ الْبَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ»؟. قَالُوا: أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ»؟. قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا. وَوَقَعُوا فِيهِ. (أخرجه البخاري ٣٩٣٨).

وَالْمَعْنَى: أَخْبِرُونِي إِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْوَاقِفِينَ عَلَى شُئُونِ اللهِ تَعَالَى وَأَسْرَارِ الْوَحْيِ بِمَا أُوتُوا مِنَ التَّوْرَاةِ «عَلَى مِثْلِه» أَيْ مِثْلِ الْقُرْآنِ، مِنَ الْمَعَانِي الْمُنْطَوِيَةِ فِي التَّوْرَاةِ، الْمُطَابِقَةِ لِمَا فِي الْقُرْآنِ، مِنَ التَّوْحِيدِ، وَالْوَعْدِ

والوعيد، وغير ذلك، فإنها عين ما فيه في الحقيقة، كما يعرب عنه قوله تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ» (الشعراء)، وقوله تعالى: «إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ» (الأعلى)، والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات أخر، أو على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى، والمثلية لما ذكر. وقيل: المثل صلة، والفاء في قوله تعالى: «فآمن» للدلالة على أنه سارع إلى الإيمان بالقرآن، لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق، وهو عبد الله بن سلام، «واستكبرتم» عطف على شهد شاهد، وجواب الشرط محذوف، والمعنى: أخبروني إن كان من عند الله تعالى، وشهد على ذلك أعلم بني إسرائيل فآمن به من غير تلعثم، واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة، من أضل منكم؟ بقرينة قوله تعالى: «قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ» (فصلت: ٥٢).

وقوله تعالى: «إن الله لا يهدي القوم الظالمين» فإن عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا، ووصفهم بالظلم للإشعار بعلة الحكم، فإن تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم. (إرشاد العقل السليم (٦/ ٧٠و٧١)).

«وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم»:

جرت سنة الله في الأنبياء أن يتبعهم المساكين والفقراء، لأن الفقراء ليس لهم دنيا يخافون عليها، وهم تابعون هنا أو هناك، فلأن يتبعوا الحق خير لهم، أما الأغنياء وأصحاب الجاه والرياسة والمناصب فإن ما هم فيه يصدهم عن اتباع الرسل، لأنهم لو آمنوا بهم صاروا تابعين بعد ما كانوا متبوعين.

ولذلك قال قوم نوح لنوح عليه السلام: «مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ» (هود: ٢٧)، وكذلك قال الذين كفروا لرسلهم، حتى محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، سأل عمن بأرضه من العرب، فجيء بأبي سفيان في نفر، فسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة أسئلة أراد أن يتعرف من جوابها على شخصيته، وكان منها: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم. فقال هرقل: وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل. (أخرجه مسلم ١٣٩٣).

فلما رأى صناديد قريش أن محمدا صلى الله عليه وسلم اتبعه الفقراء قالوا لا يمكن أن يكون هذا الدين حقا، لأنه لو كان لهدانا الله إليه دونهم: «وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه»، فضلوا حيث ظنوا أن إيتاء الله لهم الدنيا دليل محبته لهم ورضاه عنهم، وضلوا حيث قاسوا الدين على الدنيا، وظنوا أن الله تعالى كما آتاهم خير الدنيا فلا بد أن يهديهم لخير الدين. قال تعالى: «وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا» (مريم: ٧٣)، وقال تعالى: «وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٣٦) وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ (٣٧) وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ» (سبأ: ٣٥-٣٨)، وقال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ» (الأنعام: ٥٣).

فالله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، وقد يبسط الرزق لمن لا يحب، ويقدر على من يحب، ولكنه سبحانه لا يهدي للحق إلا من يحب، أغنياء كانوا أو فقراء.

قال ابن كثير: هكذا قالوا: «لو كان خيرا ما سبقونا إليه»، وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم: هو بدعة، لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها.

وقوله تعالى: «وإذ لم يهتدوا به» أي بالقرآن «فسيقولون هذا إفك قديم» أي كذب قديم، أي مأثور عن الناس الأقدمين فينتقصون القرآن وأهله، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكبر بطر الحق وغمط الناس» (أخرجه مسلم ٩١).

«ومن قبله» أي من قبل القرآن الكريم «كتاب موسى» وهو التوراة جعله الله تبارك وتعالى «إماما» لبني إسرائيل يأتمون به ويهتدون به، كما قال تعالى: «وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ (٥٣) هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ» (غافر: ٥٤)، «ورحمة» أي جعل الله تعالى التوراة رحمة يرحمهم بها إذا اتبعوها، كما قال تعالى عن القرآن: «وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ» (الأنعام: ١٥٥).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

القصة في كتاب الله

الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس

الحلقة الرابعة

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، والصلاة والسلام على البشير النذير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها القارئ الكريم: لقد عصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى، وعصى إبليس ربه فلعنه الله في الدنيا والآخرة، وأنزله من الملأ الأعلى وطرده من رحمته وجنته، فلماذا؟ وما الفرق بين المعصيتين؟

نحاول اليوم بعون الله الإجابة عن هذا التساؤل من خلال كتاب ربنا تبارك وتعالى، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، فهما مصدر الهداية والرشاد، ونتناول الموضوع في النقاط التالية:

أولاً: سبب المعصية ومنشؤها:

أ- عند إبليس:

حدثنا القرآن الكريم عن أصل المعصية ومصدرها عند الشيطان، فقال الله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ» (البقرة:٣٤)، وقال تعالى مخاطبًا إبليس: «قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ» (الأعراف:١٢، ١٣)، وقال تعالى أيضا مخاطبًا إبليس: «مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ» (الحجر:٣٥)، وقال سبحانه: «مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ» (ص:٧٦).

أخي الكريم: عند تأمل الآيات الكريمة السابقة نلاحظ ما يلي:

١- صدرت المعصية عن أصل وأساس هو الكبر.

٢- أدى به هذا الكبر إلى ردّ أمر الله الصريح برأيه الفاسد القبيح.

٣- احتقر أبانا آدم عليه السلام وحسده.

وهذه سمات التكبر كما حددها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال فيه: «... الكبر بطر الحق وغمط الناس».

بطرُ الحق: ردُّه ورفضُه، وغمط الناس أي:

احتقارهم. وهذا الذي قام به إبليس فعلاً، وهذا الذي يقوم به كل مُتكبر لا يؤمن بيوم الحساب من الجن والإنس على حد سواء، فهم جميعًا جند إبليس وعلى دربه ينهجون.

والكبر من أخطر أمراض القلوب التي لا يعلم حقيقتها إلا علام الغيوب، ولقد عدَّ سبحانه الكبر من أهم أسباب الكفر، فقال سبحانه: « سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ » (الأعراف:١٤٦).

ب- سبب المعصية عند آدم، عليه السلام:

أما معصية آدم عليه السلام، فقد أخبرنا الله عز وجل عن سببها وأصلها، فقال سبحانه: « وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا » (طه:١١٥)، انظر كيف قبل الله سبحانه عذر آدم في معصيته لأنه سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو سبحانه كما علم ما انطوت عليه نفس إبليس من كبر وأخبرنا عنه فهو سبحانه علم ما انطوت عليه نفس آدم من تواضع، ولذلك وقع في المعصية من باب النسيان الفطري والضعف البشري، وهذا ما أخبرنا الله به: « فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا » (طه:١١٥) أي: نسي ما عهدنا إليه من عدم الأكل من تلك الشجرة ونسي ما حذرناه من عداوة الشيطان له ولذريته، ثم إن آدم ليس مصرًا على المعصية كما أصر عليها إبليس.

ثانيًا: النتائج:

أ- إذا اختلفت الأسباب لا شك ستختلف النتائج، فلما كان سبب المعصية عند إبليس ومصدرها هو الكبر، فلم يتب ولم يعترف بذنبه، بل برره وكان التبرير أقبح من الذنب، فقال: «أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ» (ص:٧٦)، أهو أعلم أم الله؟ أليس الله بأعلم بما في صدور العالمين: « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ» (الملك:١٤)، الله سبحانه وتعالى يعلم ولا يصدر في أمره ونهيه إلا عن علم وحكمة، ولكن إبليس لا يعلم لأن الكبر أعمى بصيرته عن الحق فظن أن النار خير من الطين،

وقد تحدث العلماء عن فضل الطين على النار في أكثر من عشرين وجهًا لخصها الإمام النسفي في تفسيره تلخيصًا بديعًا، فقال: «لقد أخطأ الخبيث، بل الطين أفضل لرزانته ووقاره، ومنه الحلم والحياء، وذلك دعاه إلى التوبة والاستغفار» (أي دعا آدم المخلوق من الطين)، وفي النار الطيش والحدة والترفع (أي النار المخلوق منها إبليس)، وذلك دعاه إلى الاستكبار، والتراب عدة الممالك، والنار عدة المهالك، والنار مظنة الخيانة والإفناء، والتراب مئنة الأمانة والإنماء، والطين يطفي النار ويتلفها، والنار لا تتلفه". اهـ. مختصرًا.

وبغض النظر عن فضل الطين على النار أو النار على الطين، المهم أن الله تعالى أمر إبليس بالسجود فأبى واستكبر، وإنما كان رفضه واستكباره في الحقيقة ليس على آدم، وإنما على أمر الله وما قدَّمه من تبرير لا قيمة له؛ لأنه رأيٌ في مواجهة النص الصريح، وهو رأي فاسد، وحتى لو كان صحيحًا فلا يجوز مطلقًا مواجهة النص بالرأي، وهذا منشأ الفساد عند من يعارضون النصوص الشرعية بآرائهم البشرية، وهؤلاء لا شك من تلاميذ إبليس.

والخلاصة: لما كانت معصية إبليس ناشئة عن كبر فلم يعترف ولم يتب إلى الله ولم يستغفر فكانت النتيجة أن غضب الله عليه ولعنه وطرده من رحمته في الدنيا وجعل النار مثواه هو وأتباعه من الجن والإنس، خالدين فيها في الآخرة.

ب- أما آدم عليه السلام فلما كانت معصيته عن طريق الضعف البشري والنسيان الفطري فلما ذكَّره الله تذكَّر، واعترف بذنبه، وطلب من الله المغفرة والرحمة، قال الله عز وجل عن آدم وحواء وعلى لسانهما بعد أن ذكرهما فتذكرا: « قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ » (الأعراف:٢٣)، فكانت النتيجة أن الله التواب الرحيم قبل توبة آدم وغفر له وقد لخص القرآن قصة معصية آدم وتوبته وتوبة الله عليهم في كلمات معدودات في قوله تعالى: « وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ » (طه: ١٢١- ١٢٢).

ألا فلتسمع الدنيا بأسرها هذا التقرير البليغ الذي حل مشكلة آدم والبشرية كلها في كلمات، وإلى هؤلاء الذين ضخموا معصية آدم وجعلوها سبب اللعنة على آدم وذريته من بعده، بل على الأرض كلها، وإلى الذين يدّعون أن الله سبحانه تصارعت عنده صفة العدل والرحمة حتى انتهى إلى إرسال نفسه سبحانه أو ابنه البكر ليصلب على خشبة على الأرض ويُدق بالمسامير تطهيرًا للبشرية من ذنب أبيهم آدم، تلك الخطيئة التي لصقت بهم ولاحقتهم- كما يدعون ويقولون- تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا-، وسبحانه المنزه عن كل نقص وكل ضعف، لست أدري من أين جاء لهم هذا القول الفاسد، لا شك أنه من الشيطان ومن أتباعه من شياطين الإنس والجن.

والخلاصة أن الله تعالى غفر لآدم وتاب عليه وهداه، والتوبة تجبُّ ما قبلها وتمحو أثر المعصية وما يترتب عليها، والحمد لله رب العالمين.

ثالثًا: تساؤلات وشبهات والجواب عنها:

هل كان إهباط آدم من الجنة عقوبة له؟

الإجابة: لا؛ لأن الله تعالى غفر لآدم وتاب عليه، فكيف يعاقب بعد ذلك، ولأن العقوبة تقتضي إما إلحاق العذاب أو حرمان العطاء وكلاهما لم يحدث لآدم؛ لأن آدم أساسًا خلقه الله ليكون خليفة في الأرض، أي خلقه الله للأرض ابتداءً كما قال الله تعالى للملائكة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً» (البقرة:٣٠)، والنزول إلى الأرض ليس عقوبة، ولكنها مشيئة الله وحكمته، ويكون سعادة لمن آمن وعمل صالحًا كما قال الله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» (النحل:٩٧)، هذا وعد الله للمؤمنين الصالحين بالحياة الطيبة في الحياة الدنيا، وبالجزاء الأحسن في الآخرة، ومَن أصدق من الله قيلاً؟!

وقد حدد الله سبحانه معيار السعادة والشقاء في الدنيا والآخرة، لآدم وذريته لحظة إهباطه إلى الأرض، فقال سبحانه: «قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ» (طه: ١٢٣-١٢٦).

فليتأمل الذين يبحثون عن السعادة في الدنيا والآخرة، أين طريقها، إذن فهبوط آدم للأرض هو قدَره الذي خلقه الله له، وطريق السعادة والشقاء قد بينه الله أكمل بيان وهو فيما بعثه الله وأنزله على رسله وأنبيائه على مر التاريخ البشري من لدن آدم حتى ختم بإمامهم وخاتمهم محمد الأمي الذي أخذ الله عهده وميثاقه على جميع الأمم وجميع الرسل باتباعه حين بُعث في آخر الزمان لأنه عندما يبعث فلا مصدر للحق إلا ما جاء به، ولا طريق للسعادة إلا في اتباع ما جاء به- صلوات ربي وسلامه عليه-.

وهنا يبرز سؤال آخر ألا وهو: إذا كان الله سبحانه خلق آدم للأرض؛ فلماذا أدخله الجنة أولاً؟

نقول- وبالله التوفيق-: إن الله سبحانه وتعالى كرَّم آدم حيث خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء، وأسجد له الملائكة، ومن مظاهر هذا التكريم دخوله الجنة قبل إهباطه إلى الأرض، ولعل في ذلك فوائد وأسرار نوضحها فيما يلي:

١- دخول الجنة مظهر من مظاهر تكريم الله لآدم لأنه من كرامة هذا المخلوق عند ربه سبحانه هيأ له ما في الأرض جميعًا قبل أن يخلقه، ثم بعد أن خلقه عرَّفه جميع الموجودات في الأرض وأسماءها بما يتناسب مع وظيفة آدم وذريته في عمارتها وهي دار الابتلاء المؤقتة.

وكان من حكمة الله ورحمته أن يدخل آدم دار الجزاء التي أعدها الله لآدم وللمتقين من ذريته وهي دار الكرامة والخلد، فإذا كان الله تعالى عرَّف آدم على دار الإقامة المؤقت أفلا يعرِّفه دار الكرامة والخلد التي أعدها له وللصالحين من ذريته؟

٢- كذلك عرَّف الله آدم بطريقة عملية الطريق المؤدي إلى الجنة وهو المتمثل في تطبيق منهج الله في الأرض والذي ملخصه في الطاعة وترك المعصية.

٣- كما عرف آدم وذريته خطورة اتباع الشيطان وحذَّره وذريته من فتنته.

٤- كذلك عرف آدم وذريته أن داءه يكمن في المعصية ودواؤه في التوبة والاستغفار وأن المتقين من أبناء آدم إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون.

وللحديث بقية إن شاء الله، وبالله تعالى التوفيق.

باب الفكر الإسلامي

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

لقد تكلمنا فيما سبق عن ما يستحق أن يُوصف بالفكر الإسلامي، فتكلمنا عن الإسلام وثوابته ومتغيراته.

وجاء دور الكلام عن الفكر نفسه، فما هو الفكر وأين يكون؟

يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: إن مادة فكر تفيد: تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر: إذا ردد قلبه، ويقال: رجل فِكِير: أي كثير الفكر.

ويرى صاحب القاموس المحيط أن «الفكر» هو إعمال النظر في الشيء، ولهذا فالفكر عمل عقلي، وحركة ذهنية.

وقد كان للعلماء عناية تامة بهذه المعاني اللغوية للكلمة؛ لإيجاد معنى يقرِّب اللفظة ويشرح معناها.

فها هو الجرجاني يقول عنه: "الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علمًا أو ظنًا".

وابن القيم يقول عنه: "هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة".

وغيرها من التعريفات لا يتسع المقام لذكرها، لكن نخلص منها الآتي:

«الفكر يراد به القوة المركبة المفكرة، وهو حركة للقلب ومن ثَم العقل نحو الشيء، وتنطلق منه مسلَّمات عقلية بغية الوصول إلى أهداف ومطالب، ولهذا فهو من خصائص الإنسان دون الحيوان، ولأنه له صورة في القلب فهو أمر محسوس متخيل، ومن هنا جاء النهي عن التفكر في ذات الله تعالى.

وعليه؛ فينصبّ مصطلح «الفكر الإسلامي» على عملية التفكير نفسها بأنها إسلامية، وهذا صلب الحديث: أيحق ذلك؟ وإن كان فأين يقع؟

ولما كان الفكر عمل عقلي محض وجب العلم بأن العقل موجود في تلك المضغة المسماة بالقلب، ولهذا فموضعه في القلب.

قال الله تعالى في آية الحج: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ (الحج:٤٦).

ولهذا حكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». الحديث متفق عليه.

وأبلغ من تكلم عنه كان الإمام أحمد رحمه الله حيث قال: العقل في القلب ولا اتصال بالدماغ، ولما كان الفكر هو: دوران الشيء في العقل بين القبول والرفض، فإذن منزلة الفكر بين الاثنين، أي ساعة الدوران، وهي التي يطلق عليها عند البعض بـ: مراتب وصول العلم إلى النفس.

وقسم أبو البقاء الكفوي في «كلياته» هذه المراتب بطريقة عقلية بحتة، فوصف مراتب وصول العلم إلى النفس فقال: ومنها:

الشعور أول مراتب وصول العلم إلى النفس، ويكون ذلك عن طريق الحواس.

ثم الإدراك: وهو أول إدراك العقل مراتب العلم.

ثم الحفظ: وهو استحكام المعقول في العقل.

ثم التذكر: وهو محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات.

ثم ذكر: وهو رجوع الصورة المطلوبة إلى الذهن.

ثم الفهم: وهو التعلق غالبًا بلفظ من مخاطبك.

ثم الفقه: وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه.

ثم الدراية: وهي المعرفة الحاصلة بعد تردد مقدمات، مثل: العلم المقتبس من قواعد النحو وقواعد العقل.

ثم اليقين: وهو أن تعلم الشيء ولا تتخيل خلافه.

ثم الذهن: وهو قوة استعدادها لكسب العلوم غير الحاصلة.

ثم الفكر: وهو الانتقال من المطالب إلى المبادئ ورجوعها من المبادئ إلى المطالب.

ثم الحدس: وهو الذي يتميز به عمل الفكر.
ثم الذكاء: وهو قوة الحدس.
ثم الفطنة: وهي التنبه للشيء الذي يعتقد معرفته.
ثم الكيس: وهو استنباط الأنفع.
ثم الرأي: وهو استحضار المقدمات وإحالة الخاطر فيها.
ثم التبيُّن: وهو علم يحصل بعد الالتباس.
ثم الاستبصار: وهو العلم بعد التأمل.
ثم الإحاطة: وهي العلم بالشيء من جميع وجوهه.
ثم الظن: وهو أخذ طرف الشك بصفة الرجحان.
ثم العقل: وهو جوهر تُدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات والمشاهد.
ويُلاحظ مما مضى:
أن مرتبة الفكر جاءت متوسطة بين المراتب العقلية المذكورة، حيث جاءت قبلها عشر مراتب وبعدها عشر مراتب.
ولا شك- طالما أن الأمر فكر- أن هذا الترتيب الذي أورده الكفوي لمراتب وصول العلم إلى النفس هو ترتيب اجتهادي قد ينازع فيه، أو في بعضه كما ذكر ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»، فقال: «إن للإدراك مراتب بعضها أقوى من بعض، أولها الشعور، ثم الفهم، ثم المعرفة، ثم العلم، ثم العقل، ومرادنا بالعقل (المصدر) وليس القوة الغريزية». اهـ.
كما أن اجتهاد الكفوي هذا لم يستقرئ جميع المراتب العقلية والعلمية، فلم يذكر: المعرفة والحكم والخاطر والوهم والخيال والبديهة والروية والخبر والفراسة والرؤيا، والقيافة والكهانة والنظر... إلخ.
إلا أنه يعطينا فكرة- ولا شك- عن ثروة اللغة العربية وغنَاها بالمفردات العقلية، والتي تمثل كل مفردة منها مرتبة من مراتب وصول العلم إلى النفس.
ولا شك أن للفكر فضائل كثيرة عرض ابن القيم بعضها في كتابيه: «مفتاح دار السعادة»، و«الفوائد»، وقد ذكر في أحدهما: قول بعض السلف: "تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة".
وسأل رجل أم الدرداء بعد موت أبي الدرداء عن عبادته فقالت: كان نهاره أجمعه في بادية التفكر، وقال الحسن: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. وقال الفضل: التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك.
وقال الحسن في قوله تعالى في الأعراف: « سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ » (الأعراف:١٤٦)، قال: أمنعهم التفكر فيها.
وليس إيراد هذه النصوص من باب تحقيقها، بل من باب أن أهل العلم ذكروا للفكر فضائل جمة، وكيف لا، وقد ذُكر التفكر في القرآن الكريم في عشرين آية، مرة (فكر)، وتسع عشرة مرة تتفكرون.
وذكرت هذا كله لأدلك على أن مجال الفكر واسع، وموضوعه خصب للتأمل والتدبر، ومن هنا فقد بيّن القرآن الكريم أن من القرآن ما لا يمكن الوصول إلى معرفته إلا عن طريق بيان النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما يمكن معرفته عن طريق التفكر، وقد جمع الله سبحانه بين هذين النوعين من البيان في آية واحدة، فقال الله تعالى في النحل: « وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » (النحل: ٤٣- ٤٤).
ومعلوم أن آيات القرآن فيها من دلائل التفكر ما فيها، فآيات الآفاق، كالتفكر في خلق السماوات والأرض، وآيات الأنفس، وآيات في أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وآيات النظر والبصر والتدبر، والاعتبار والذكر والعلم، وغير ذلك.
مما يقول عند العلامة ابن القيم في مفتاح دار السعادة: «وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه، أوقعك على العلم به ووحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه، وكمال حكمته ورحمته، وإحسانه وبره، ولطفه وعدله، ورضاه وغضبه، وثوابه وعقابه، فبهذا تعرَّف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته». اهـ.
ولهذا نقول: إن هذه الإشارات الإلهية إلى آيات الله تعالى في الكون قد قُصد بها إيقاظ القلب البشري لعظمة الخالق، وقدرته المعجزة وعلمه المحيط، وهيمنته على أمر الكون وتدبيره له، لكي تخضع القلوب للخالق العظيم وتعبده وحده بلا شك، ولتصحيح العقيدة من الشوائب التي تعلق بها.
وهنا تكمن أهمية الفكر في القرآن، وأهمية المجالات التي يمكن أن يكون فيها الفكر مقبولاً، والكيفية التي يمكن أن نفكر بها، من غير الدخول فيما يكون فيه محذور شرعي.
وهنا أهتم بسؤال أبدأ به مقالي القادم- إن شاء الله وقدر-: هل هذا الفكر هو المراد به اليوم؟ والذي نسميه إسلاميًا؟!
وأجيب على هذا في مقالي القادم بإذن الله تعالى، سائلاً المولى عز وجل أن يقدر لنا ولكم الخيرات، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

الضوابط الشرعية للمعاملات الاقتصادية



الحلقة الثانية

باب الاقتصاد الإسلامي

إعداد/ د. حسين حسين شحاتة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ما يزال الحديث متصلاً عن الضوابط الشرعية في المعاملات الاقتصادية فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الالتزام بالأولويات الإسلامية

ويعني ذلك أنه يجب على المتعامل أن يلتزم بالأولويات الإسلامية وهي الضرورات فالحاجيات فالتحسينات، وتجنب الإسراف والتبذير والإنفاق الترفي والمظهري وما في حكم ذلك، ودليل هذا الضابط من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: «يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ» (الأعراف: ٣١)، ويوصينا الرسول صلى الله عليه وسلم في ترتيب الإنفاق بقوله: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قربتك، فإن فضل عن ذوي قربتك شيء فهكذا وهكذا....» (رواه أحمد والنسائي).

وهذا الضابط يستند إلى القواعد الفقهية الآتية:

الضرورات تبيح المحظورات.

الحاجة تنزل منزلة الضرورة.

لا اقتراض إلا لضرورة.

الالتزام بالغنم بالغرم في المشاركات.

تقوم المعاملات بصفة عامة على ربط العائد بالتضحية والكسب بالخسارة والأخذ بالعطاء، وهذا ما يطلق عليه في كتب الفقه اسم: «الغنم بالغرم، والخراج بالضمان»، ويعني هذا أن العائد يقابل تضحية، ولا كسب بلا جهد، ولا جهد بلا كسب، ومن نماذج ذلك من القرآن الكريم صفقة التجارة مع الله في الجهاد حيث قال سبحانه وتعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ» (التوبة: ١١١)، وربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين الجهاد وتوزيع الغنائم.

ومن مرجعية هذا الضابط من القواعد الفقهية ما يلي:

الخراج بالضمان.

الربح فيما اتفقا عليه والوضيعة على صاحب المال.

وجوب موالاة المؤمنين وأولوية التعامل معهم

ويقصد بهذا الضابط أن تكون أولوية التعامل مع المؤمنين وهذا ما يطلق عليه أحيانًا: «التعامل مع المؤمنين أولى». فالمسلم جزء من الأمة الإسلامية ويجب أن يحمل ولاءه للمسلمين، ومن الصور التطبيقية للولاء الاقتصادي أن تكون أولوية المعاملات التجارية والاقتصادية والمالية بين المسلمين، ودعم السوق الإسلامية المشتركة، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: «وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ» (التوبة: ٧١)، وحذرنا الله من موالاة الكافرين فقال: «لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ» (آل عمران: ٢٨).

ولقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موالاة المسلمين فقال: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »(رواه البخاري)، وقال صلى الله عليه وسلم: « لا تصاحب إلا مسلماً ولا يأكل طعامك إلا تقي » (رواه أبو داوود والترمذي)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم... الحديث» (رواه مسلم).

ولقد أكد الفقهاء على أولوية التعامل مع المسلمين ومن مبررات ذلك ما يلي:

- يجب دعم وعون المسلمين.
- يجب المحافظة على عزة وقوة المسلمين.
- يجب تجنب المعاملات غير المشروعة التي يقوم بها غير المسلمين أحيانًا.
- تجنب استغلال واحتكار ومكر غير المسلمين.
- تدعيم السوق الإسلامية المشتركة.

جواز التعامل مع غير المسلمين المسالمين

ويقصد بذلك جواز التعامل مع غير المسلمين المسالمين وذلك من باب التيسير ورفع الحرج والمشقة، وكذلك من جانب المواطنة وتجنب الفتن، ولا يجوز التعامل مع غير المسلمين المحاربين (دار الحرب) إلا عند الضرورة التي تؤدي إلى مهلكة.

ولقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، فقد ثبت أنه اشترى من يهودي طعامًا نسيئة (بالأجل)، كما رهن درعه عند يهودي، فقد روى أنس رضي الله عنه، قال: «رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعًا عند يهودي بالمدينة، وأخذ منه شعيرًا لأهله».

ولقد وضع الفقهاء مجموعة من الضوابط الفقهية للتعامل مع غير المسلمين المسالمين منها:

- أن يكون التعامل في حدود ما أباحته الشريعة الإسلامية.
- الالتزام بالقسط والعدل والأمانة.
- حرمة الاعتداء على أموالهم وأعراضهم ودمائهم.
- وجود الحاجة للتعامل معهم.

تحقيق النفع وتجنب الضرر

يقضي هذا الضابط بأن تحقق المعاملات الاقتصادية النفع الذي يعود على الفرد نفسه وكذلك على الجماعة والأمة الإسلامية، ويكون هذا النفع مرتبطًا بتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، وكذلك تجنب أي معاملة فيها ضرر.

وأصل هذا الضابط من القرآن الكريم هو قول الله تبارك وتعالى: « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (المائدة: ٢).

ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجموعة من المعاملات الاقتصادية لأنها تسبب أضرارًا، مثل التعامل في الخمر، ولحم الخنزير، والميتة، والدم، والأصنام، والصلبان، والتماثيل، والكلاب، وكسب الإماء (الزنا)، وبيع السلاح وقت الفتنة، والتسعير في الأسواق بدون ضرورة معتبرة شرعًا، ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من ضارَّ ضارَّ الله عليه، ومن شقَّ شقَّ الله عليه » (رواه الترمذي).

ويستند هذا الضابط إلى مجموعة من القواعد الفقهية منها:

- لا ضرر ولا ضرار.
- الضرر يزال.
- يتحمل الضرر الخاص.

تجنب المعاملات التي تلهي عن الفرائض والواجبات أو تضيع الحقوق

ويعني ذلك أن أي معاملة تصد عن سبيل الله ولا تمكن المسلم من أداء الفرائض والقيام بالواجبات تعتبر حرامًا، ولقد أشار القرآن إلى ذلك في العديد من الآيات مثل قوله سبحانه وتعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ »(الجمعة: ٩)، وقوله تبارك وتعالى أيضاً: « فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ» (النور: ٣٦-٣٨)، وقد روي في الأثر: «لا يبارك الله في عمل يلهي عن الصلاة».

ومن مرجعية هذا الضابط من القواعد الفقهية:

- إنما الأعمال بالنيات.
- وسائل الحرام حرام.
- المحافظة على مقاصد الشريعة الإسلامية.

التورع عن الشبهات

ومعنى ذلك أن يتورع المسلم في معاملاته الاقتصادية عن مواطن الشبهات وتجنب أي معاملة فيها أدنى شبهة، محافظة على الدين وصونًا للعرض واستغناءً بالحلال البين المقطوع بحله، ولقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث ما يؤكد ذلك، منها قوله: «.. والمعاصي حمى الله، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه» (رواه الشيخان)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» (رواه الترمذي)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الحلال بيِّن، وإنما الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إن صلحت صلح سائر الجسد، وإن فسدت فسد سائر الجسد، ألا وهي القلب» (رواه البخاري).

ومن مرجعية هذا الضابط من القواعد الفقهية ما يلي:

- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.
- الأعمال بالنيات.

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

تهنئة

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص التهنئة لاثنين من أبناء الجمعية، نحسبهما من الصالحين، ولا نزكي على الله أحدًا، وذلك بمناسبة حصولهما على درجة التخصص (الماجستير) في علم الحديث وهما:

أحمد جمال أحمد المراكبي، ومحمود محمد محمد عبد الحكيم رحمة.

وقد حصل الباحثان على درجة التخصص (الماجستير) بتقدير ممتاز.

هذا، ونتمنى لهما مزيدًا من التوفيق والسداد.

تهنئة

أسرة أنصار السنة المحمدية تهنئ ابنها الباحث عبد الرحمن صبري أحمد لحصوله على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بمرتبة الشرف الأولى مع التوجيه بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها بين الجامعات الأجنبية، وكان موضوع الرسالة «بناء التركيب وقضاياه في المقالة الأدبية عند محمود محمد شاكر»، دراسة في النحو والدلالة.

كما تتقدم بخالص التهنئة لابننا الباحث إيهاب مرسي عبد المجيد بفرع كمشيش، لحصوله على درجة الماجستير، وكان موضوع الرسالة بعنوان: «منهاج وطرق تدريس الرياضيات»، جامعة المنوفية، كلية الشريعة. والله الموفق.

عبادة الأوفياء بين الخوف والرجاء

الحلقة الثالثة

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

أيها الأحباب، تصاحبنا في حلقتين خلتا مع حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ إذ ذكرنا بالحقيقة الغائبة، وما ينبغي تجاهها من حُسن المسير إليه؛ رجاء أن ننعم بيُمن القدوم عليه، فنفوز بذلكم الموعود على لسان سيد كل مولود صلى الله عليه وسلم، وتكلمنا في شرح الحديث، ومعناه، وبعض ما يُستفاد من مبناه.

ولا تزال الصحبة في لقاء ثالث أخير مع حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في البخاري وغيره من كتب السنن.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ».

رواه البخاري (٦٥٠٧)، ورواه مسلم (رقم ٢٦٨٣ - ٢٦٨٤).

وفيما يستفاد من الحديث غير ما سبق بيانه:

إن كان قد تقرر لدينا أن الكلام في اللقاء والرؤية من مسائل اعتقاد أهل السنة، وأن الله تبارك وتعالى يلقاه المؤمنون والكفار، وأن لقاء الله لا يكون إلا بعد الموت خلافًا لمن ابتدع غير هذا، وأن اللقاء ليس هو الموت، ولا تتعارض محبة لقاء الله مع حديث النهي عن تمني الموت، ولا مع كراهية الموت التي تقع من كل إنسان.

إن كان قد تقرر كل ذلك؛ فإن من أهم ما يُستفاد من الحديث أن عبودية العبد تقتضي العيش بين مقام الخوف ومقام الرجاء محمولين على منزلة المحبة.

وقد ذكر الله- تعالى- الخوف مقرونًا بالرجاء في كتابه الكريم في مواضع كثيرة:

مخبرًا عن نفسه تعالى ذكره: « ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (المائدة: ٩٨).

أو آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: «نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ » (الحجر: ٤٩، ٥٠).

أو مادحاً من فعل ذلك من عباده المؤمنين كقوله تعالى ذكره « أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ » (الزمر: ٩).

وفي السنة كثير؛ منه حديث أَنَس بن مالك- رضي الله عنه-: أن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسلَّم- دخل على شابٍّ وهو في المَوْت، فقال: «كيف تَجِدُكَ؟» قال: والله يا رسولَ الله، إني أَرْجُو اللهَ، وإني أخافُ ذُنُوبِي، فقال رَسُول اللهِ- صلَّى الله عليه وسلَّم-: «لا يَجْتَمِعَان في قَلْبِ عَبْدٍ في مثْل هذا المَوْطن؛ إلاَّ أعطاهُ اللهُ ما يَرْجُو، وأَمَّنَهُ مِمَّا يَخافُ)»؛ "صحيح الترغيب والترهيب" (٣٣٨٣)

وحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- صلَّى الله عليْه وسلَّم-: «يقول الله- عز وجل-: وعزتي، لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا، أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا، أمنته يوم

القيامة»؛ صحَّحه الألباني.
هذا وقد استقام فهم الربانيين على هذا سلفًا وخلفًا؛ فنجد شيخ المحدثين البخاري الإمام رحمه الله يعقد في صحيحه بابًا بعنوان «باب الرجاء مع الخوف»، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه: قوله: «باب الرجاء مع الخوف» أي: استحباب ذلك، فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء، لئلا يفضي في الأول إلى المكر، وفي الثاني إلى القنوط، وكل منهما مذموم. (فتح الباري ١١/٣٠١).

وفي ربطه بين الخوف والرجاء يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح الطحاوية، ت الأرناءوط (٢/٤٥٦) بعدما قرر ما سبق من عقيدة السلف قال: «فَالرَّجَاءُ يَسْتَلْزِمُ الْخَوْفَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ أَمْنًا، وَالْخَوْفُ يَسْتَلْزِمُ الرَّجَاءَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ قُنُوطًا وَيَأْسًا. وَكُلُّ أَحَدٍ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبْتَ مِنْهُ، إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنَّكَ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبْتَ إِلَيْهِ، فَالْخَائِفُ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَى رَبِّهِ» انتهى، وغيره في كتاب الله وسنة نبيه وآثار السلف الكثير، والحمد لله.

وهذان المقامان- الخوف والرجاء- يحتاجان إلى المحبة إذ هي خلة عامة، وصفة لازمة لتحقيق عبودية العبد تجاه خالقه ومولاه فلا يحيا قلبه إلا بها، ولا تستقيم عقائده وجوارحه إلا في وجودها.

لذا قال طبيب القلوب شيخ الإسلام ابن القيم: في «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٥١٣)»:
«الْقَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيَرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ، وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ".
وَنقل رحمه الله عن غَيْرِهُ: أَكْمَلُ الأَحْوَالِ: اعْتِدَالُ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَغَلَبَةُ الْحُبِّ، فَالْمَحَبَّةُ هِيَ الْمَرْكَبُ. وَالرَّجَاءُ حَادٍ، وَالْخَوْفُ سَائِقٌ، وَاللَّهُ الْمُوَصِّلُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ".

وهذه الثلاث- المحبة مع الخوف والرجاء- جعلها العلماء مناطًا للعبادة الَّتي خَلَقَ اللهُ لَهَا الْخَلْقَ، وَأَخَذَ بِهَا عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ، أرسل بها رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَلأَجْلِهَا خُلقت الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ» والتي هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّ وَيَرْضَى".
إِذ مَنَاطُ الْعِبَادَةِ غَايَةُ الْحُبِّ مَعَ غَايَةِ الذُّلِّ، ولا تَنْفَعُ عِبَادَةٌ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ دُونَ الآخَرِ؛ وَلِذَا قال مَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ زِنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ مُرْجِئٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حَرُورِيٌّ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ مؤمن موحد. (ينظر: (معارج القبول (٢/٤٣٧) «شرح الطحاوية ت الأرناءوط (٢/٤٥٨)، مجموع الفتاوى «١٠/١٤٩").

وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريف الخوف والرجاء والمحبة ومن أظهره:

أن الخوف غمٌّ يلحق النفس؛ لتوقع مكروه وهو من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل أحد، كما قال الله تعالى «فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (آل عمران: ١٧٥)، ومنزلة الخوف ليست قاصرة علي المذنبين ففي التِّرْمذيِّ «عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَوْلُ اللهِ «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» (المؤمنون: ٦٠) أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَيَسْرِقُ؟ قَالَ: لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ» قَالَ الْحَسَنُ: عَمِلُوا وَاللهِ بِالطَّاعَاتِ، وَاجْتَهَدُوا فِيهَا، وَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً، وَالْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا (صحيح سنن الترمذي، ٣/٢٨٧) (ينظر: المدارج (١/٥٠٧)

والرجاء هو حاد يَحْدُو الْقُلُوبَ إِلَى بِلَادِ الْمَحْبُوبِ.- وَهُوَ اللهُ وَالدَّارُ الآخِرَةُ- وَهُوَ الاسْتِبْشَارُ بِجُودِ وَفَضْلِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَالارْتِيَاحُ لِمُطَالَعَةِ كَرَمِهِ سُبْحَانَهُ.(وتفصيل ذلك في «مدارج السَّالكين" (١/٥٠٧-٥١٣).
أما المحبة فهي (كما عرفها في المدارج (٣/٨):

«الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وهي رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتُ وَالْأَحْوَالُ الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فيه وقد كثر في شأن هذه المنزلة- المحبة- المدعون فقضى الله على عباده واختبرهم بإقامة البينة على دعواهم بقوله: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » (آل عمران: ٣١) فكانت البينة التي عليهم (الاتباع) ولا تقبل الدعوى بغير بينة".

مفاهيم ينبغي أن توضح:

١- الخوف خوفان: محمود ومذموم:

المحمود: خوف يدل على تقوى الله، بالحرص على الطاعات، واجتناب المحرمات، والإكثار من نوافل العبادات، والإحسان إلى البريات، ومقامه في الحياة الدنيا المستمرة حال الصحة والعافية.

والمذموم: هو خوف يقود إلى اليأس والفرق من العذاب، بلا أثر ينفع فهو من مداخل الشيطان لتقنيط الإنسان من رحمة الرحمن لينقطع عن الطاعة ولا شك أنه مذموم. فتأمل أخي الحبيب؟

٢- الرجاء وحسن الظن يختلف عن التمني والغرور:

«إِذِ التَّمَنِّي يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ وَالرَّجَاءُ » يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

فَالْأَوَّلُ كَحَالِ مَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْضٌ يَبْذُرُهَا وَيَأْخُذُ زَرْعَهَا.

وَالثَّانِي كَحَالِ مَنْ يَشُقُّ أَرْضَهُ وَيُفْلِحُهَا وَيَبْذُرُهَا. وَيَرْجُو طُلُوعَ الزَّرْعِ.

وَلِهَذَا أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ. » مدارج السالكين (٣٧/٢).

وفي تأكيد الفرق بين حسن الظن والغرور، يقول الحافظ في الفتح: «المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل. ومن علامة الشقاء: أن تعصي وترجو أن تنجو"." فتح الباري" (٣٠١/١١)، وينظر مثله في شرح النووي على مسلم. (٢١٠/١٧).

وفي تقريره لذلك يقول ابن القيم رحمه الله في «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » (ص/٢٤): « وقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور، وأن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساعده وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور » انتهى.

وفي مناقشة ابن القيم للمتمادين في عصيانهم ؛ اتكالاً على نصوص الرجاء وسعة مغفرة الله، ورحمته، وعفوه، وجوده، وأن رحمته سبقت غضبه، وسردهم في ذلك ما يحفظون من الأدلة التي تدخلهم الجنة بغير حساب، يقول ابن القيم: «الْأَمْرُ هَكَذَا، وَاللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ وَأَجَلُّ وَأَكْرَمُ وَأَجْوَدُ وَأَرْحَمُ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَضَعُ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ اللَّائِقِ بِهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِالْحِكْمَةِ، وَالْعِزَّةِ وَالِانْتِقَامِ، وَشِدَّةِ الْبَطْشِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ، فَلَوْ كَانَ مُعَوَّلُ حُسْنِ الظَّنِّ عَلَى مُجَرَّدِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ لَاشْتَرَكَ فِي ذَلِكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَوَلِيُّهُ وَعَدُوُّهُ، فَمَا يَنْفَعُ الْمُجْرِمَ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ وَقَدْ بَاءَ بِسُخْطِهِ وَغَضَبِهِ، وَتَعَرَّضَ لِلَعْنَتِهِ، وَوَقَعَ فِي مَحَارِمِهِ، وَانْتَهَكَ حُرُمَاتِهِ، بَلْ حُسْنُ الظَّنِّ يَنْفَعُ مَنْ تَابَ وَنَدِمَ وَأَقْلَعَ، وَبَدَّلَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ، وَاسْتَقْبَلَ بَقِيَّةَ عُمُرِهِ بِالْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، ثُمَّ أَحْسَنَ الظَّنَّ، فَهَذَا هُوَ حُسْنُ ظَنٍّ، وَالْأَوَّلُ غُرُورٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ". اهـ. (الجواب الكافي ص ٢٧).

وحدُّ الاعتدال في ذلك أن تغلب جانب الخوف عند الحاجة إليه، وتغلب جانب الرَّجاء عند الحاجة إليه، فالمرءُ عند كثرة العصيان مع شدَّة الخوف يحتاج إلى تغليب الرَّجاء على الخوف، أمَّا العصيان مع الأمن، فصاحبه بحاجة إلى تغليب جانب الخوف على جانب الرَّجاء، والحمد لله رب العالمين.

أول واجب على العبيد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فأول واجب على المكلف العلم بـ(لا إله إلا الله)، وليس كل من قال لا إله إلا الله تنفعه، بل لا بد لها من شروط مستقاة من الكتاب والسنة تتحقق في نفس وعمل قائلها حتى تنفعه وإلا فلا، فهل يستوي المؤمن الذي يقول لا إله إلا الله بحق مع المنافق الذي يقولها هزوًا ولعبًا؟

قال الحافظ الحكمي في سلم الوصول:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقا وردت

فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل:

قال الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) (محمد: ١٩).

عن عثمان قال: قال رسول الله: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) رواه مسلم.

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك:

قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) (الحجرات: ١٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله: (فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله. مستيقنا بها قلبه؛ فبشره بالجنة). (رواه مسلم).

الشرط الثالث: القبول المنافي للرد:

قال الله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ) (الصافات: ٣٥).

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله: (فذلك مثل من نفعه ما بعثني الله به من العلم والعمل فعلم وعمل ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) (رواه مسلم).

إعداد/ د/عبد الحكيم حسام الدين

الشرط الرابع: الانقياد المنافي للإباء:

قال الله تعالى: (وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (لقمان: ٢٢).

قال رسول الله: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى...) (رواه البخاري عن أبي هريرة).

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صادقا من قلبه إلا حرمه الله على النار) (رواه مسلم عن أنس).

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للرياء:

قال الله تعالى: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) (الزمر: ٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه) رواه البخاري عن أبي هريرة.

الشرط السابع: المحبة المنافية للكره:

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ) (البقرة: ١٦٥).

عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً قال: والله إني لأحب هذه السورة «قل هو الله أحد»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حبك إياها أدخلك الجنة). (رواه الدارمي وأصله في الصحيحين).

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٥٣)

إعداد/ علي حشيش

٤٨٥- «فِكرةُ ساعةٍ خيرٌ مِن عبادةِ ستينَ سنةٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ أبو الشيخ في كتابه «العظمة» (ح٤٤) قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا، حدثنا عثمان بن عبد الله القرشي، حدثنا إسحاق بن نجيح الملطي، حدثنا عطاء الخرساني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.. وعلته عثمان القرشي قال ابن حبان في «المجروحين» (١٠٢/٢): «يضع الحديث، لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار». وعلة أخرى: إسحاق الملطي، نقل الذهبي في «الميزان» (٧٩٥/٢٠٠/١) أن أحمد قال: «هو من أكذب الناس، وقال يحيى: معروف بالكذب ووضع الحديث، وقال النسائي والدارقطني: متروك».

٤٨٦- «ما زَنى عبدٌ قط فأدْمَن الزنا إلا ابتُلي في أهل بيته».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٥٥/٣٣٠/١) عن ابن عباس مرفوعًا، وآفته إسحاق بن نجيح الملطي، وهو من أكذب الناس معروف بالكذب؛ كما بينا آنفًا، وقال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٤٠٤/١/١): «إسحاق بن نجيح الملطي منكر الحديث». اهـ.

فائدة: مصطلح «منكر الحديث» عند البخاري إذا قاله في الرجل، يقول الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «يكون هذا الرجل في أدنى المنازل وأردئها عنده، ولكنه لطيف العبارة في التجريح؛ فليعلم ذلك». اهـ.

وكذلك قول محدِّث وادي النيل أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» فإنه يريد به الكذابين، ففي «الميزان» للذهبي (٥/١) نقل ابن القطان أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: منكر الحديث لا تحل الرواية عنه». اهـ.

قلت: وهذا التحقيق لهذا الحديث فيه برهان على ما ذهب إليه الحفاظ ابن كثير والذهبي وابن القطان من مقصد البخاري من اصطلاحه منكر الحديث.

٤٨٧- «اتقوا مواضع التُّهَم».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٣٥/٣) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

قلت: ويغني عن هذا الحديث الذي لا أصل له: ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩، ٧١٧١)، والإمام مسلم (ح٢١٧٥) من حديث علي بن الحسن أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ؛ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ

الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ، مَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا؛ إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا".

قلت: واللفظ للبخاري، وفي الحديث (٢٠٣٨): «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم».

٤٨٨- «لا يزالُ العبدُ يمشي مطلقًا ما خَمِصَ بطنه من أموال المسلمين، وسلم ظهره من بطنهم، وسلم لسانه من أعراضهم، واستقامت طريقته ولزم جماعة المسلمين».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٣١/١) من حديث عمران بن حصين مرفوعًا، وعلته إسحاق بن نجيح الملطي، وهو معروف بالكذب ووضع الحديث كما بينا آنفًا، وأورد هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٠١/١) وقال: "هذا الحديث من بلايا إسحاق الملطي".

٤٨٩- «إن لله عزَّ وجلَّ مَلَكًا يُنادي كل يوم: مَن خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٨١/١) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

قلتُ: يغني عن هذا الكذب المختلَق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى في سورة النور، الآية (٦٢): «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور:٦٣).

٤٩٠- «لعن الله الناظر إلى عورة المؤمن والمنظور إليه».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٥٥/٣٣١/١) من حديث عمران بن حصين مرفوعًا، وعلته إسحاق بن نجيح الملطي، وهو معروف بالكذب ووضع الحديث، وقال ابن عدي: «هذا الحديث موضوع». اهـ.

٤٩١- «أهل الجنة ثلاثةٌ: المحسن، والمحبُّ له، والكافُّ عنه».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٨١/٣) وقال بصيغة الجزم: «جاء في الحديث»، وحتى لا يتقول علينا من لا دراية له بأصول اللغة، فقوله: «الكافُّ» اسم فاعل من الفعل «كَفَّ»، وليس من الفعل «كفى»، وقال الحافظ في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٤٩٢- «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به».

الحديث لا يصح: أورده الإمام الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٨٨٣) وقال: «هذا الحديث قال ابن تيمية: إنه كذب. ونحوه قول شيخنا- يعني الحافظ ابن حجر-: «لا أصل له».

قلتُ: أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٣٥/١٤) وقال: «هذا من المكذوبات التي لم يروها أحد من علماء المسلمين ولا هو في شيء من كتب الحديث». اهـ.

قلتُ: أورده تحت الزيارة البدعية، وما يفعله أهل البدع مستندين إلى هذا الحديث المكذوب.

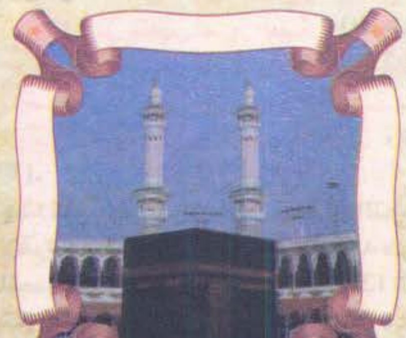
باب العقيدة

(معنى التوحيد وأنواعه)

الكون وفطرته في الخضوع والطّاعة للّه

الحلقة الرابعة

إعداد: د. صالح الفوزان



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ما يزال الحديث متصلاً عن مظاهر ربوبية المخلوقات وخضوعها لله رب العالمين، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٣- تسخيرُ المخلوقات لأداء وظائفها، والقيام بخصائصها

فليسَ هُناك مخلوق يستعصي ويمتنع عن أداء مهمته في هذا الكون، وهذا ما استدل به موسى- عليه السلام- حين سأله فرعون: «قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى» أجاب موسى بجواب شاف كاف فقال: «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» (طه: ٥٠) أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به؛ من كبر الجسم وصغره وتوسطه وجميع صفاته، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية هي هداية الدلالة والإلهام وهي الهداية الكاملة المشاهدَةُ في جميع المخلوقات، فكل مخلوق تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضَارِّ عنه، حتى إنّ الله أعطى الحيوان البهيم من الإدراك؛ ما يتمكن به من فعل ما ينفعه، ودفع ما يضره، وما به يؤدي مهمته في الحياة، وهذا كقوله تعالى: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» (السجدة: ٧).

فالذي خلق جميعَ المخلوقات، وأعطاها خلقَها الحسنَ- الذي لا تقترح العقول فوق حسنه- وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكارُهُ إنكارٌ لأعظم الأشياء وجودًا، وهو مكابرة ومُجاهرة بالكذب، فالله أعطى الخلق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به، ولاشك أنه أعطى كل صنف شكلَه وصورتَهُ المناسبة له، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكلَ المناسبَ له من جنسه، في المناكحة والألفة والاجتماع، وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به، وفي هذا براهين قاطعة على أنه جل وعلا رَبُّ كلِّ شيء، وهو المستحق

للعبادة دون سواه...

وفي كل شيء له آية تدلُّ على أنه الواحد

ومما لا شك فيه أنَّ المقصودَ من إثبات ربوبيته- سبحانه- لخلقه وانفراده لذلك: هو الاستدلال به على وجوب عبادته وحده لا شريك له؛ الذي هو توحيد الألوهية، فلو أن الإنسان أقر بتوحيد الربوبية ولم يقر بتوحيد الألوهية أو لم يَقُمْ به على الوجه الصحيح؛ لم يكن مسلمًا، ولا موحدًا؛ بل يكون كافرًا جاحدًا، وهذا ما سنتحدَّث عنه في الأعداد التالية- إن شاء الله تعالى-.

بيانُ استلزام توحيد الرُّبوبيَّة لتوحيد الألوهيَّة

ومعنى ذلك أنَّ من أقرَّ بتوحيد الربوبية لله، فاعترف بأنه لا خالق ولا رازقَ ولا مدبِّر للكون إلا الله- عز وجل- لزمه أن يُقرَّ بأنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله سبحانه، وهذا هو توحيد الألوهية. فإنَّ الألوهية هي العبادة؛ فالإله معناه: المعبود، فلا يُدعى إلا الله، ولا يُستغاثُ إلا به، ولا يُتوكَّلُ إلا عليه، ولا تذبح القرابين وتُنذر النذورُ ولا تُصرفُ جميعُ أنواع العبادة إلا له؛ فتوحيدُ الربوبية دليلٌ لوجوب توحيد الألوهية؛ ولهذا كثيرًا ما يحتجُّ الله- سُبحانه- على المنكرين لتوحيد الألوهية بما أقروا به من توحيد الربوبية، مثل قوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ » (البقرة: ٢١، ٢٢).

فأمرهم بتوحيد الألوهية، وهو عبادتهُ، واحتجَّ عليهم بتوحيد الرُّبوبية الذي هو خلقُ الناس الأولين والآخرين، وخلقُ السماء والأرض وما فيهما، وتسخير الرياح وإنزالُ المطر، وإنباتُ النبات، وإخراج الثمرات التي هي رزقُ العباد، فلا يليق بهم أن يُشركوا معه غيره؛ ممَّنْ يعلمون أنه لم يفعل شيئًا من ذلك، ولا من غيره، فالطريق الفطري لإثبات توحيد الألوهية: الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية؛ فإن الإنسان يتعلق أولاً بمصدر خلقه، ومنشأ نفعه وضره؛ ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقرّبه إليه، وترضيه عنه، وتوثق الصلة بينه وبينه، فتوحيد الربوبية بابٌ لتوحيد الألوهية؛ من أجل ذلك احتجَّ الله على المشركين بهذه الطريقة، وأمر رسوله أن يحتجَّ بها عليهم، فقال تعالى: « قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ » (المؤمنون: ٨٤-٨٩).

وقال تعالى: « ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ » (الأنعام: ١٠٢).

فقد احتج بتفرُّده بالربوبية على استحقاقه للعبادة، وتوحيد الألوهية: هو الذي خلق الخلق من أجله، قال تعالى: « وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ » (الذاريات: ٥٦).

ومعنى (يعبدون): يُفردوني بالعبادة، ولا يكون العبدُ موحدًا بمجرد اعترافه بتوحيد الربوبية؛ حتى يُقرَّ بتوحيد الألوهية، ويقومَ به، وإلا فإنَّ المشركين كانوا مُقرِّينَ بتوحيد الربوبية، ولم يُدخلهم في الإسلام، وقاتلهمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وهم يُقرُّون بأن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، كما قال تعالى: « وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ » (الزخرف: ٨٧)، « وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ » (الزخرف: ٩)، « قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ » (يونس: ٣١).

وهذا كثيرٌ في القرآن، فمن زعمَ أنَّ التوحيدَ هو الإقرارُ بوجود الله، أو الإقرار بأن الله هو الخالق المتصرف في الكون، واقتصر على هذا النوع؛ لم يكن عارفًا لحقيقة التوحيد الذي دعَتْ إليه الرسل؛ لأنه وقفَ عندَ الملزوم وترك اللازم، أو وقف عند الدليل وترك المدلول عليه.

ومن خصائص الألوهية: الكمالُ المطلقُ من

جميع الوجوه؛ الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال، والخشية والدعاء، والرجاء، والإنابة، والتوكل والاستغاثة، وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك يجب عقلاً وشرعًا وفطرةً أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلاً وشرعًا وفطرةً أن يكون لغيره.

في بيان معنى توحيد الألوهية وأنه موضوع دعوة الرسل

توحيدُ الألوهية، الألوهية هي العبادة

وتوحيدُ الألوهية هو: إفرادُ الله تعالى بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب المشروع، كالدعاء والنذر والنحر، والرجاء والخوف، والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة، وهذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، قال تعالى: « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » (النحل: ٣٦)، وقال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » (الأنبياء: ٢٥).

وكل رسول يبدأ دعوته لقومه بالأمر بتوحيد الألوهية، كما قال نوح وهود وصالح وشعيب: «يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ » (الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥)، « وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ » (العنكبوت: ١٦).

وأنزل على محمد صلى الله عليه وسلم: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ » (الزمر: ١١).

وقال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس؛ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) (الحديث رواه البخاري ومسلم).

وأول واجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله والعمل بها، قال تعالى: « فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ » (محمد: ١٩).

وأول ما يؤمر به مَنْ يريد الدخول في الإسلام: النطق بالشهادتين، فتبين من هذا: أن توحيد الألوهية هو مقصودُ دعوة الرُّسل، وسُمي بذلك؛ لأن الألوهية وصف الله تعالى الدال عليه اسمه تعالى (الله)، فالله: ذو الألوهية، أي المعبود.

ويقال له: توحيد العبادة؛ باعتبار أن العبودية وصفُ العبد، حيثُ إنه يجبُ عليه أن يعبد الله مخلصًا في ذلك؛ لحاجته إلى ربه وفقره إليه،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: (واعلم أن فقر العبد إلى الله: أن يعبده لا يُشرك به شيئًا، ليس له نظير فيُقاسُ به؛ لكن يُشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة؛ فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاحَ لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره. ولو حَصَل للعبد لذّات وسرور بغير الله، فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، وأما إلهه فلابد له منه في كل حال، وكل وقت وأينما كان فهو معه).

وكان هذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل؛ لأنه الأساسُ الذي تُبنى عليه جميع الأعمال، وبدون تحققه لا تصحُّ جميعُ الأعمال؛ فإنه إذا لم يتحقق؛ حصل ضده، وهو الشركُ، وقد قال الله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ » (النساء: ١١٦)، وقال تعالى: «وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (الأنعام: ٨٨)، وقال تعالى: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (الزمر: ٦٥).

ولأن هذا النوع من التوحيد؛ هو أول الحقوق الواجبة على العبد، كما قال تعالى: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » (النساء: ٣٦) الآية، وقال تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » (الإسراء: ٢٣) الآية، وقال تعالى: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (الأنعام: ١٥١-١٥٣) الآيات.

نسأل الله أن يفقهنا في ديننا ويحسن ختامنا ويتولى أمورنا؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

منبر الحرمين

التحذير من الغفلة

الحمدُ لله الذي يُحيي ويُميت وهو على كل شيءٍ قدير، تقدَّسَت أسماؤه وجلَّت صفاتُه، لا إله إلا هو الحكيمُ الخبير، أحيا القلوبَ بالقرآنِ والمواعظ، والحكمةِ والعملِ الصالحِ المشكُور، ووكَلَ المُعرِضَ عن الحقِّ إلى نفسه فهو في خُسرانٍ وغفلةٍ وغُرورٍ، أحمدُ ربي على نعمِه كلِّها، وأشكُرُه على فضلِه الكبير.

إعداد/ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي
إمام المسجد النبوي

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له السميعُ البصير، وأشهد أنَّ نبيَّنا وسيِّدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه البشيرُ النذير، والسِّراجُ المُنير، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدِك ورسولِك محمد، وعلى آله وصحبِه، القُدوة لكل مُؤمن بدينِه بصِير.

أما بعد: فاتَّقُوا اللهَ بفعل كل عملٍ يرضَاه، والبُعد عن كل عملٍ يُبغِضُه ويأبَاه؛ فتقوَى الله سعادةُ الدينا، والفوزُ بجنَّة الخُلد في الأُخرى، فطُوبَى لمن تمسَّك بها، وويلٌ لمن جانبَها فلم يعمَل بها.

عبادَ الله: أصلِحُوا قلوبَكم بما يُصلِحُ القلوبَ، وراقِبُوها من الـواردات عليها المُفسدة للقلوب، فالقلبُ ملكُ الجوارح، كما قال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم-: «ألا وإنَّ في الجسد مُضغة، إذا صلَحَت صلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسَدَت فسَدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلبُ» (رواه البخاري ومسلم من حديث النُّعمان بن بشير- رضي الله عنهما).

وهل تعلمُون أعظمَ أمراض القلوب التي يُحرَمُ من ابتُلِيَ بها من الخير كله؟ أو يُحرَمُ من ابتُلِيَ بها من كثيرٍ من أبواب الخَير؟

ألا إنَّ أعظمَ أمراضِ القلوب: هي الغفلَة، فالغفلةُ المُستحكمةُ هي التي شقِيَ بها الكفارُ والمنافقون، وهي التَي أوجَبَت لهم الخلودَ في النار، قال الله تعالى: (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ) (النحل: ١٠٦-١٠٨).

وقد تكونُ الغفلةُ من المسلم عن بعض أعمالِ الخير، وعن الأخذ بأسباب المنافع والنَّجاة من الشُّرور، فيفُوتُه من ثواب الخير بقَدر ما أصابَه من الغفلَة، ويُعاقَب بالمكرُوهات والشرِّ بقدر غفلَته بتَرك أسبابِ النجاة.

قال الله تعالى: (وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ) (الأحقاف: ١٩)، وقال تعالى: (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ) (النجم: ٣٩- ٤١).

وقال- صلى الله عليه وسلم- عن ربِّه تعالى: «ادخُلوا الجنةَ برحمَتي، واقتسمُوها بأعمالكم».

وقال- عليه الصلاة والسلام-: «لا يزالُ قومٌ يتأخرونَ حتى يؤخرَهمُ اللهُ، وإن دخلوا الجنَّة».

وقال تعالى في عقوبة الغفلة عن الأخذ بأسباب النجاة: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠).

والعفوُ هنا للمُسلم وليس للكافر؛ لأن الكافرَ لا يغفر ذنبُه إلا بالتوبة.

الغفلةُ هي: عدمُ إرادةِ الخير قصدًا، وعدم محبَّته مع خُلوّ القلب من العلم النافع، والعمل الصالح، وهذه هي الغفلة التامَّةُ المُهلكة، وهي غفلةُ الكفار والمنافقين، التي لا يُفلحُ المرءُ معها إلا بالتوبة إلى الله.

ولا يتَّبعُ الإنسانُ- إذا استولت عليه- إلا الظنَّ وما تهوَاه نفسُه، ويُزيِّنُه له شيطانُه، ويُحبِّبُه هواهُ من الشهوات.

وهذه الغفلةُ هي التي عاقبَ اللهُ بها الكفارَ والمنافقينَ في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس: ٩٢).

وقال عن المنافقين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يُبصِرُون﴾، وقال- سبحانه-: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩).

عن أبي سعيد الخُدري- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم-: «إذا دخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنةَ، ودخلَ أهلُ النار النارَ، يُؤتَى بالموت كهيئة كَبشٍ أملَحَ، فيُنادي مُنادٍ: يا أهلَ الجنَّة! فيشرئبُّون وينظرُون، فيقولُ: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموتُ، وكلُّهم قد رآه، ويقولُ: يا أهلَ النار! فيشرئبُّون وينظرُون، فيقولُ: هل تعرفُون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموتُ، وكلُّهم قد رآه، فيُذبحُ بين الجنة والنار، فيقال: يا أهلَ الجنَّة! خلودٌ بلا موت، ويا أهلَ النار! خلودٌ بلا موت»، وقرأ هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩)» (رواه البخاري ومسلم).

وفي بعض الروايات: «فلولا أنَّ اللهَ كتَبَ الحياةَ لأهْلِ الجنَّة، لماتُوا فرحًا، ولولا أنَّ اللهَ كتَبَ الحياةَ لأهْلِ النَّار، لماتُوا حُزنًا وحسرةً».

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: في الدنيا؛ إذ الآخرةُ لا غفلةَ فيها.

فغفلةُ الكفار والمنافقين غفلةٌ مُستحكمةٌ تامَّة، تُخلِّدُ صاحبَها في النار، وهي عدمُ إرادة الخير قصدًا، وعدمُ محبَّته، وخلُوُّ القلبِ من العلم النافع والعمل الصالح، مع اتِّباع الهوى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨).

قال أهلُ التفسير: «ولا تُطع من جعَلنا قلبَه غافلاً عن القرآن والإسلام، وكان أمرُه ضياعًا وباطلاً».

وأما غفلةُ المسلم، فهي غفلةٌ عن بعض الأعمال الصالحة التي لا يُضادُّ تركُها إسلامَه، أو الوقوع في بعض المعاصي التي لا تُكفر، والغفلة عن عقوباتها.

والغفلةُ من المسلم شرٌّ عليه كبيرٌ، وضررٌ خطيرٌ، تُوردُه المَهالك، وتسُدُّ عليه من الخير مَسالك.

وللغفلة مضارٌّ كثيرة، وشرورٌ مُستطيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر: ١٩)، وقال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧)، وقال- عزَّ وجل-: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

بالغفلة عن معرفة كمال التوحيد يقعُ المسلمُ في نقص كمال التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦).

وبالغفلة عن تعلم أركان الصلاة وواجباتها يقعُ الخللُ في الصلاة، كما في حديث أبي هُريرة- رضي الله عنه-، أن النبي- صلى الله عليه وسلم- رأى رجُلاً يُصلِّي فخفَّف صلاتَه، فسلَّم على النبي-

صلى الله عليه وسلم-، فقال: «ارجع فصَلِّ فإنَّك لم تُصلِّ»، فعلَ ذلكَ ثلاثًا، فعلَّمه النبيُّ- صلى الله عليه وسلم- الطُّمأنينةَ في أفعال الصلاة. (رواه البخاري ومسلم).

وبالغفلَة عن تذكُّر صلاة الجماعة، يجُرُّ إلى التساهُل في الجماعة، قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «أثقَلُ الصلاة على المنافقينَ: صلاةُ العشاء وصلاةُ الفجر، ولو يعلمونَ ما فيهما لأتَوْهُمَا ولو حَبْوًا» (رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة).

وبالغفلَة عن ثواب الزكاة، والغفلَة عن عقوبة مانعها، يكونُ التفريطُ في أدائها، ففي الحديث: «ما من صاحب كَنز لا يُؤدِّي زكاتَه، إلاَّ مُثِّل له يومَ القيامة شُجاعًا أقرعَ يأخذُ بلهزِمَتيه، فيقولُ: أنا كنزُك، أنا مالُك» (رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة).

أي: صارَ هذا الكَنزُ ثُعبانًا يمصُّ شدقَيه، ويُفرغُ فيه السُّمَّ.

وبالغفلَة عن تذكُّر عقوبات عقوقِ الوالدَين، يقتَرفُ الولدُ العقوقَ، فيحقُّ عليه ما قال عليه النبي- صلى الله عليه وسلم-: «وثلاثةٌ لا يدخُلون الجنةَ: العاقُّ لوالدَيه، والدَّيُّوثُ، والرَّجلَةُ من النساء» (رواه النسائي والحاكم، وقال: «إسنادُه صحيحٌ» عن ابن عُمر).

والدَّيُّوث: الذي يُقرُّ أهلَه على الزِّنا. والمُتشبِّهةُ بالرِّجال.

وبالغفلَة عن عقوبة قطيعَة الرَّحم، يقَعُ الوعيدُ على القاطع، في حديث جُبَير بن مُطعم- رضي الله عنه-، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يدخُلُ الجنةَ قاطع» (رواه البخاري).

وبالغفلَة عن عقوبات الظُّلم، يكثُرُ الظلمُ في الأرض، فيُسفَكُ الدم، ويُؤخذُ مالُ الغير، ويُعتدَى على الأعراض، ويصيرُ العمران خرابًا، والأرضُ يَبابًا، ويهلكُ الحرثُ والنَّسلُ، وينتشرُ الخوفُ، ثم تنزلُ العقوبةُ بالظالم، كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «إن اللهَ ليُملي للظالم، حتى إذا أخذَه لم يُفلتْه»، وقرأ الآيةَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ١٠٢) (رواه البخاري ومسلم من حديث أبي مُوسى).

فالغفلَةُ مفتاحُ شُرور، ويُحرَمُ بها المسلمُ من كثير من الأجُور، وما يدخُلُ النقصُ على المسلم إلا من بابها، فالنجاةُ منها هي السعادةُ، والبعدُ عنها رُقيٌّ في درجات العبادة، والحذَرُ منها حصنٌ من العقوبات في هذه الدنيا، وفوزٌ بالنعيم بعد المَمات.

ولا يكون الاعتصامُ من الغفلَة والنجاة منها، إلا بالابتعاد عن أسبابها، وعدم الرُّكون إلى الدنيا، التي تغُرُّ المرءَ عن آخرَته.

ومما يُعينُ المسلمَ على تجنُّب الغفلَة: المُحافظةُ على الصلوات جماعةً، بخشُوع وحُضور قلب، فالصلاةُ تتضمَّنُ حياةَ القلوب، لمَا فيها من المعاني العظيمة، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ (طه: ١٤).

ومما يُنْجي من الغفلَة: ذكرُ الله على كل حال؛ فالذِّكرُ يُحيي القلوبَ، ويطردُ الشيطانَ، ويُزكِّي الروحَ، ويُقوِّي البدنَ على الطاعات، ويُوقظُ من نوم النسيان، ودوامُه يحفظُ العبدَ من المعاصي.

عن أبي مُوسى- رضي الله عنه-، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «مثَلُ الذي يذكُرُ ربَّه، والَّذي لا يذكُره مثلُ الحيِّ والميِّت» (رواه البخاري ومسلم).

ومما يحفظُ العبدَ من الغفلَة: تلاوةُ القرآن؛ ففيه العجائب، وفيه الرغائب، وفيه شفاءُ القلوب، وفيه الحثُّ على كل خير، والزجرُ عن كل شرٍّ، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٨٢).

ومما يحفظُ العبدَ من الغفلَة: مُجالسةُ العلماء والصالحين؛ لأنهم يُذكِّرون بالله، ويُعلِّمون العلمَ الشرعيَّ، قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٢٨).

ومما يُنجي من الغفلَة: الابتعادُ عن مجالس اللَّهو والفسق وجليس السوء، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٠).

وفي الحديث: «ومثَلُ جليسِ السوءِ كنافخ الكِير».

ومما يُنجي من الغفلة: معرفةُ حقارة الدنيا وزوالها، وعدم الاغترار بزخرُفها عن الآخرة؛ فهي التي صدَّت أكثرَ الناس عن الآخرة، واتِّباع الهُدى.

ومما يُنجي من الغفلة: مُجانبةُ الذنوب والمعاصي؛ فكل معصية وقَعَ فيها العبدُ كان ذلك بسبب الغفلة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢).

عباد الله: إن من أعظم ما يُنقذُ المُسلمَ من الغفلة وآثارها الضارَّة: ذكرَ الموت وما بعده، فهو واعظٌ بليغٌ، مُشاهَدٌ مسموعٌ، يقينٌ طعمُه، قريبٌ لقاؤه، واقعٌ أمرُه.

عن أبي هُريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «أكثِرُوا من ذكرِ هازمِ اللذَّات»- يعني: الموت- (رواه الترمذي، وقال: «حديثٌ حسنٌ»).

ومن أكثَر من ذكر الموت صلَح قلبُه، وزكا عملُه، وسلمَ من الغفلة، وعند الموت يفرحُ المؤمنُ، ويندمُ الفاجرُ ويتمنَّى الرجعة، وهيهاتَ أن يُستجابَ له، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٠).

وعُمرُ الإنسان ما مضَى في الطاعات، وما مضَى في المعاصي فهو خسارةُ عُمره.

عباد الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، وقد قال- صلى الله عليه وسلم-: «من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى الله عليه بها عشرًا».

فصلُّوا وسلِّموا على سيِّد الأولين والآخرين، وإمام المرسلين.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، وسلِّم تسليما كثيرًا.

اللهم وارضَ عن الصحابة أجمعين، وعن الخلفاء الراشدين المهديِّين: أبي بكر، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن التابعين ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، اللهم وارضَ عنَّا معهم بمنِّك وكرمِك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزَّ الإسلام والمُسلمين، وأذلَّ الكفرَ والكافرين، وأذلَّ البدعَ التي تُضادُّ دينَك يا رب العالمين، اللهم أذلَّ البدَع التي تُضادُّ دينَك الذي بعثتَ به محمدًا- صلى الله عليه وسلم-، وأذلَّ المُبتدعين إنك على كل شيءٍ قدير.

اللهم وارزُقنا وثبِّتنا، اللهم ارزُقنا التمسُّك بسنَّة نبيِّك محمد- صلى الله عليه وسلم- كما تُحبُّ وترضَى، اللهم وارزُقنا التمسُّك بسنَّة نبيِّك محمد- صلى الله عليه وسلم- كما تُحبُّ وترضَى يا رب العالمين، وتوفَّنا على ذلك وأنت راضٍ عنَّا يا أكرمَ الأكرمين.

اللهم إنا نسألُك الجنة وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل، ونعوذُ بك من النار وما قرَّبَ إليها من قولٍ وعمل.

اللهم اغفر لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أسرَرنا وما أعلنَّا، وما أنت أعلمُ به منَّا، أنت المُقدِّم وأنت المُؤخِّر لا إله إلا أنت.

اللهم أحسن عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها، وأجِرنا من خزيِ الدنيا وعذابِ الآخرة.

اللهم إنَّا نسألُك العفوَ والعافية، اللهم إنَّا نسألُك العفوَ والعافيةَ في ديننا ودُنيانا وأهلنا يا رب العالمين، وفي جميع أُمورنا.

اللهم تولَّ أمرَ كل مُؤمنٍ ومُؤمنة، وتولَّ أمرَ كلِّ مُسلمٍ ومُسلمة يا ربَّ العالمين.

اللهم ألِّف بين قلوب المُسلمين، اللهم ألِّف بين قلوب المُسلمين، اللهم أطعم جائعَهم، اللهم اكسُ عاريَهم، اللهم أمِّن خائفهم، اللهم إنا نسألُك يا ذا الجلال والإكرام أن تنتقمَ ممن ظلَمَهم، اللهم انتقم ممن ظلَمَ المُسلمين في دينهم، اللهم انتقم يا رب العالمين وعجِّل عقوبتَك على من تسلَّط عليهم يا رب العالمين في دمائهم وأموالهم وأرضهم وشرِّدهم من أرضِهم يا رب العالمين.

الشحاذة بين الاحتراف والاحتياج

الحلقة الثانية

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أحكام الشحاذة، وفي هذا العدد نتناول بعض أحكامها، وأسبابها، ووسائل علاجها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ظاهرة التسول في المساجد:

أ- أَصْلُ السُّؤَالِ مُحَرَّمٌ فِي الْمَسْجِدِ وَخَارِجَ الْمَسْجِدِ إلاَّ لِضَرُورَةٍ، فَإِنْ كَانَ بِهِ ضَرُورَةٌ، وَسَأَلَ فِي الْمَسْجِدِ وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا بِتَخَطِّيهِ رِقَابَ النَّاسِ وَلاَ غَيْرِ تَخَطِّيهِ، وَلَمْ يَكْذِبْ فِيمَا يَرْوِيهِ وَيَذْكُرُ مِنْ حَالِهِ، وَلَمْ يَجْهَرْ جَهْرًا يَضُرُّ النَّاسَ مِثْلَ أَنْ يَسْأَلَ وَالْخَطِيبُ يَخْطُبُ، أَوْ وَهُمْ يَسْمَعُونَ عِلْمًا يُشْغِلُهُمْ بِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، جَازَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠٦/٢٢).

ب- بالنسبة للذي يكذب ويصطنع فلا إشكال أنه آذى المصلين في بيت الله عز وجل وكذب، وأخذ أموال الناس بالباطل، ومن سأل الناس تكثرا لم تزل المسألة فيه حتى يلقى الله عز وجل وليس في وجهه مزعة لحم. والسؤال لا خير فيه ما لم يضطر إليه الإنسان لدين أو نحو ذلك؛ فإنه يسأل، أما هذا الشكل الموجود بمجرد انتهاء الناس من الصلاة يقوم ويصيح ويلغط، فالحقيقة لو مُنع هؤلاء برفق وقيل لهم: اذهبوا إلى باب المسجد، فالمساجد ما بُنيت من أجل عرض حال المرضى وحالات المدينين لكان أولى.

ولقد كان الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يربط على بطنه الحجر، وربما صُرع في المسجد، كما كان حال أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه، ومع ذلك ما جعلوا المساجد لهذا. شرح زاد المستقنع للشنقيطي (٣٨٦/١٨).

ج- دخل هشام بن عبد الملك- خليفة المسلمين- الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجةً. فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله. فلما خرج خرج في أثره فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة فقال له سالم: حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا. فقال له سالم: ما سألتُ مَن يملكها فكيف أسأل مَن لا يملكها. صفة الصفوة (٩١/٢).

من تحل له المسألة

١- عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ رَجُلٍ، تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ- أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ- وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ- أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ- فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا " صحيح مسلم (١٠٤٤).

- "قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ": الْقِوَامُ وَالسِّدَادُ هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ وَهُوَ مَا يُغْنِي مِنَ الشَّيْءِ وَمَا تُسَدُّ بِهِ الْحَاجَةُ. شرح النووي (١٣٣/٧).

ذكر صلى الله عليه وسلم أن المسألة لا تحل إلا لواحد من ثلاثة:

١- رجل تحمل حمالة، يعني التزم مالاً في ذمته لإصلاح ذات البين، فهذا يُعطى وله أن يسأل حتى يصيبها، ثم يمسك ولا يسأل.

٢- ورجل آخر أصابته جائحة اجتاحت ماله، كنار وغرق وعدوٍ وغير ذلك، فيسأل حتى يُصيب قواماً من عيش.

٣- والثالث: رجلٌ كان غنياً فافتقر بدون سبب ظاهر، وبدون جائحة معلومة، فهذا له أن يسأل، لكن لا يُعطى حتى يشهد ثلاثة من أهل العقول من قومه بأنه أصابته فاقة، فيُعطى بقدر ما أصابه من الفقر.

فهؤلاء الثلاثة هم الذين تحل لهم المسألة وما سوى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «فما سواهن من المسألة يا قبيصة، سحت يأكلها صاحبها سحتاً». والسحت هو الحرام، وسمي سحتاً؛ لأنه يسحت بركة المال، وربما يسحت المال كله، فيكون عليه آفات وغرامات تسحت ماله من أصله، والله الموفق. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣٩٣/٣).

٢- عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال: إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث؛ لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع. صحيح الترغيب (٨٣٤).

-(إن المسألة) أي الطلب من الناس أن يعطوه من أموالهم شيئًا (إلا لأحد ثلاثة لذي دم موجع) يعني ما يتحمله الإنسان من الدية فإن لم يتحملها وإلا قتل فيوجعه القتل (أو لذي غرم مفظع) شديد شنيع والمراد به ما استدانه لنفسه وعياله (أو لذي فقر مدقع) أي شديد يفضي بصاحبه إلى الدقعاء وهي اللصوق بالتراب من شدة الفقر. فيض القدير (٣٨٩/٢).

حكم الشحاذة (التسول):

في "مجموع فتاوى ابن باز" (٣٢٠/١٤) ذكر حديث قبيصة السابق، ثم قال: " فهذا الحديث قد أوضح فيه النبي صلى الله عليه وسلم أنواع المسألة المباحة، وأن ما سواها محرم، فمن كان عنده ما يسد حاجته من راتب وظيفة، أو تجارة، أو غلة وقف أو عقار، أو كسب يدوي من نجارة، أو حدادة، أو زراعة أو نحو ذلك: حرمت عليه المسألة. أما من اضطر إليها: فلا حرج عليه أن يسأل بقدر الحاجة، وهكذا من تحمل حمالة لإصلاح ذات البين، أو النفقة على أهله وأولاده، فلا حرج عليه أن يسأل لسد الغرامة".

أسباب الشحاذة (التسول):-

- للشحاذة أسباب عديدة لا يمكن حصرها في محور واحد، ولكن الدافع الوحيد لها هو الحصول على المال وبمرور الزمن يتحوّل التسوّل نفسه إلى دافع وباعث، وإن وصل المتسوّل إلى حد الاكتفاء والإشباع أو ترقّى ليُصبح من طبقة الأثرياء فنراه يبقى ملازماً للتسوّل إلى نهاية العمر.

من أسباب الشحاذة:

أولاً: ضعف الثقة برزق الله تعالى:

الله جل وعلا ضمن الرزق لجميع مخلوقاته، فقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: ٦)، وقال سبحانه: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢-٢٣).

ثانيًا: الفقر: وهو عدم الحصول على مستلزمات الحياة الأساسية كالمأكل والمشرب والملبس، بسبب البطالة وعدم وجود مهنة أو حرفة لدى الشخص المتسوّل، أو أن له حرفة ولكنها لا تكفي لسد احتياجاته، لكثرة عياله أو لارتفاع أسعار المواد الغذائية ومتطلبات الحياة.

ثالثًا: الكسل: وهو حبّ الراحة، وعدم بذل الجهد العقلي والعضلي باتخاذ عمل معين أو حرفة معينة فيجد المتسوّل له مجالاً للحصول على المال اللازم دون تعب أو جهد يبذله، وغالباً ما يكون المال المحصّل أكثر بكثير مما لو اتخذ عملاً عضلياً أو عقلياً.

رابعًا: فقدان المعيل: فاليتيم والأرملة الفاقدان للعائل قد يختاران التسوّل بسبب حرمانهما من المعيل الذي يوفر لهما مستلزمات الحياة المادية والروحية، فيفتقدان المال والإشراف والتوجيه التربوي الذي يربّيهما على عزّة النفس وكرامتها ويمنعهما من اتخاذ الأعمال الوضيعة ومن إذلال النفس بالتسوّل وغيره.

اللَّهُمَّ اكْفنا بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

وباء المخدرات .. فهل أنتم منتهون؟

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله الذي أباح لنا جميع الطيبات وحرم علينا الخبائث المضرات، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين الذي وصفه ربه، فقال: «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ» (الأعراف:١٥٧). وبعدُ:

فمن المشاهد في واقعنا الاجتماعي الأليم أن ظاهرة المخدرات هي الأكثر انتشارًا، والأوسع تناولاً من أية ظاهرة أخرى، فحيثما قلّب الإنسان النظر يجد هذه العادة الذميمة متفشية في ربوع المجتمع على اختلاف المستويات، وفي كافة الطبقات صغارًا وكبارًا، شيبًا وشبانًا.

لقد فشت هذه الجريمة في المجتمعات فشوًا رهيبًا، وبلغت مبلغًا عظيمًا، وحطمت الأرقام القياسية والإحصاءات المذهلة من المدمنين، وتطالعنا الإحصاءات أن نصف شباب المجتمع في بعض البلاد يتعاطون الخمور والمخدرات، فإذا كان الأمر كذلك، لا يسع مسلمًا التغاضي عنه والسكوت عليه، وكيف يسكت المسلمون وهم يقادون عن طريق هذا الوباء إلى هوة سحيقة، لا يعلم مداها إلا الله؟!

أسباب تفشي هذا الوباء

ومن أسباب تفشي هذه الجريمة: ضعف الوازع الديني، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن». (متفق عليه).

ومنها: تجاهل الوعيد الذي جاء في كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لمن شربها.

منها قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ» (المائدة: ٩٠-٩١)، وقد دلت هذه الآية على تحريم الخمر من وجوه: من تسميتها رجسًا وقد سُمي به ما أجمع على تحريمه وهو لحم الخنزير.

ومن كونها من عمل الشيطان، لأن كل ما كان من عمل الشيطان حرم تناوله، ومن الأمر بالاجتناب، وهو للوجوب، وما وجب اجتنابه حرم تناوله، ومن الفلاح المترتب على الاجتناب فمن لم يجتنبها لم يفلح، ومن كونها سببًا للعداوة والبغضاء، وتعاطي ما يوقع ذلك حرام.

ومن كونها تصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، والله تعالى يقول: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ» (المائدة:٩١).

ومن ختم الآية بهذا الاستفهام: «فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ» (المائدة:٩١)، فإنه للزجر والردع، ولذلك قالوا: انتهينا، انتهينا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى حرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية، وعنده منها شيء، فلا يشرب ولا يبيع». (مسلم: ٣٩/٥)، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخمر أيما تحذير، فقال صلى الله عليه وسلم: «مدمن الخمر كعابد وثن». (صحيح ابن ماجه: ٢٧٢).

وبيّن صلى الله عليه وسلم أن الجنة حرام على مدمن الخمر، قال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة مدمن خمر». (صحيح الجامع: ٧٥٥٠)، كما بين صلى الله عليه وسلم أن من مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية، قال صلى الله

عليه وسلم: «الخمر أم الخبائث، فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يومًا، فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية». (صحيح الجامع: ٣٣٣٩).

كما بيّن صلى الله عليه وسلم أنها من أكبر الكبائر، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه، وخالته، وعمته». (صحيح الجامع: ٣٣٤٠).

كما حذّر صلى الله عليه وسلم شارب الخمر من الخسف والمسخ، قال صلى الله عليه وسلم: «ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، ويضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم قردة وخنازير». (صحيح الجامع: ٥٣٣٠).

كما بيّن صلى الله عليه وسلم أن شارب الخمر ملعون- مطرود من رحمة الله-. قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وساقيها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومشتريها، وآكل ثمنها». (صحيح الجامع: ١٧٩٨).

كما بيّن صلى الله عليه وسلم أن شرب الخمر أمارة من أمارات الساعة، قال صلى الله عليه وسلم: «إن من أشراط الساعة: أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال، وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيِّم الواحد». (مسلم: ٢٦٧١).

كما بيّن صلى الله عليه وسلم أن من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب حُرم من خمر الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: «من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حُرمها في الآخرة». (صحيح الجامع: ٦١٨٦).

وسيكرم الله أهل الجنة بخمر لذة للشاربين، قال الله تعالى: «مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ» (محمد:١٥).

وقال تعالى عن أهل الجنة: «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ» (الواقعة: ١٧- ١٩)، وقال تعالى: «يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ» (الصافات:٤٥- ٤٦).

فالمحروم الذي يُحرم هذه الخمر اللذيذة بسبب شربه لخمر عفنة نتنة تذهب العقل الذي هو من أشرف هبات الله للإنسان فكان جزاؤه أن يشرب شر شراب في الآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن على الله عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال». قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار». (مسلم: ٢٠٠٢).

وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: « لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب فيها طائفة من أمتي الخمر؛ يُسمُّونها بغير اسمها". (صحيح ابن ماجه: ٢٧٢٩)، وقال صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام». (صحيح ابن ماجه: ٢٧٣٦).

وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتّر. (فتح الباري: ١٠/٤٤).

وهنا يتبين أن الحشيش، والأفيون، والكوكايين، والبانجو، وغير ذلك مما هو معروف من المسكرات، كل ذلك والخمر سواء، لاشتراكها في علة التحريم، وهي إذهاب العقل مع النشوة، فأمرُ هذا جزاء متعاطيه عند الله، كيف تطيبُ نفس عاقل- فضلاً عن مسلم- بتناوله، بل بوجوده في مجتمعات المسلمين؟

إنه لعجيبٌ حالُ من يسمع عن هذه الآفات ويعلم أحوال من يتعاطى المسكرات والمخدرات، وما يقعون فيه من القبائح التي هي مسخٌ للدين والعقل والصحة، وما صار إليه أهلها من أخس حالة، وأقذر صفة وأفظع مصاب، ثم لا يستجيبون لخطاب، ولا يميلون إلى صواب.

ولقد أثبتت الدراساتُ أنه كلما زادت ظاهرةُ استعمال المخدرات في مجتمع من المجتمعات، ارتفعت معدلات أخطر الجرائم الأمنية والأخلاقية، فهل من تكاتف من الجميع للقضاء على هذا الشر المستطير؟ فإن قال قائل: كيف الخلاص من هذا الوباء؟

قلت: هذا الذي سنعرفه- إن شاء الله- في العدد القادم.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

من صفات المؤمن: الصبر

قال تعالى:

« وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ »

(البقرة: ١٥٤).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصبر على جَوْر الحكام

عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنّه من فارق الجماعة شبرًا فمات، فميتة جاهليّة » (صحيح مسلم).

من دلائل النبوة

عن عبد الله بن مسعود قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت، فدعا على نفر من قريش سبعة فيهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط. قال عبد الله: فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر، قد غيرتهم الشمس، وكان يومًا حارًا. (صحيح البخاري).

منْ أقوال السلف

عن الشافعي قال: «مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل، يحمل حزمة حطب، وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري». (إعلام الموقعين).

من فضائل الصحابة بشهادات آل البيت

عن جعفر الصادق أن زيد بن علي سأله يومًا بعض أصحابه عن قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»، قال: أبو بكر وعمر، ثم قال: لا أنالني الله شفاعة جدي إن لم أوالهما. (سير أعلام النبلاء).

حكم ومواعظ

قال رجل للحسن رحمه الله: «إني أريد سفرًا فزوِّدني قال: «ابن أخي، أعزَّ أمْرَ الله حيثما كنت يُعزَّك الله عزوجل» (الزهد لأحمد بن حنبل).

إعداد/ علاء خضر

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» (صحيح مسلم).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه) رواه الديلمي في «مسنده» (٥٤/١/١) قال الشيخ الألباني: لا يجب أن يمنع المسلم عن قراءة القران أية موانع. (سلسلة الأحاديث الضعيفة).

خُلق سيئ فاحذره

(سباب المسلم): فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قال الرجل لصاحبه: أنت عدوي، فقد خرج أحدهما من الإسلام، أو برئ من صاحبه» (صحيح الأدب المفرد للبخاري).

من غريب الحديث

«إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء» أي: «أنه كان في أوّل أمره كالغريب الوحيد الذي لا أهل له عنده، لقلة المسلمين يومئذ، وسيعود غريبًا كما كان: أي يقل المسلمون في آخر الزمان، فيصيرون كالغرباء. فطوبى للغرباء؛ أي: الجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا في أوّل الإسلام، ويكونون في آخره، وإنَّما خصَّهم بها؛ لصبرهم على أذى الكفار أولاً وآخرًا، ولزومهم دين الإسلام». (النهاية لابن الأثير).

خُلق حسن فالزمه

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» (صحيح الأدب المفرد للبخاري).

من حكمة الشعر

هَذَا ولِلْمُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّةِ الْـ... مُخْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الأَزْمَانِ
أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدُرُ قَدْرَهُ... إلا الَّذِي أَعْطَاهُ لِلإنْسَانِ

إعداد/ سيد عباس الجليمي

فقد كثر مقابلة البدعة ببدعة، فنجد رسائل كثيرة على شبكات التواصل مثل «الواتس آب»، وغيرها؛ لا يجوز نشرها، ولا نثاب عليها، لأنه بدعة؟ مثل « إن شاء الله كلنا سنقوم الساعة ١٢ ليلة رأس السنة، ونصلي ركعتين، أو نقرأ قرآناً، أو نذكر ربنا، أو ندعو؛ لأنه لو نظر ربنا للأرض في الوقت الذي معظم العالم يعصيه؛ يجد المسلمين لا زالوا على طاعتهم.. بالله عليك ابعث الرسالة هذه لكل الذين عندك؛ لأنه كلما كثر عددنا؛ كلما ربنا سيرضى أكثر».

وهذه الرسائل لا يجوز نشرها، والذين نشروا تلك الرسالة وأرادوا من المسلمين القيام بالصلاة والذِّكر؛ لا نشك أن نياتهم طيبة، وعظيمة، وخاصة أنهم أرادوا أن تقوم طاعات وقت قيام المعاصي، لكن هذه النية الطيبة الصالحة لا تجعل العمل شرعيًا صحيحًا مقبولاً، بل لا بدَّ من كون العمل موافقاً للشرع في سببه، وجنسه، وكمِّه، وكيفه، وزمانه، ومكانه.

ويمكن حصر أسباب المنع من نشر تلك الرسالة بنقاط، منها:

١- أنه وُجدت مناسبات جاهلية، ومناسبات لأهل الكفر والضلال، منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا، ولم نر نصّاً نبوياً يحثنا على إنشاء طاعة وقت فعل غيرنا لمعصية، ولا بعمل مشروع وقت فعل عمل بدعي، كما لم يُنقل قول لأحد من الأئمة المشهورين باستحباب فعل هذا.

وهذا من علاج المعصية ببدعة، كما حصل من علاج بدعة الحزن واللطم في « عاشوراء » من الرافضة ببدعة التوسع في النفقة وإظهار الفرح والسرور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: «وأما اتخاذ أمثال أيام المصائب مأتماً؛ فليس هذا من دين المسلمين، بل هو إلى دين الجاهلية أقرب، ثم هم قد فوّتوا بذلك ما في صوم هذا اليوم من الفضل، وأحدث بعض الناس فيه أشياء مستندة إلى أحاديث موضوعة لا أصل لها، مثل فضل الاغتسال فيه، أو التكحل أو المصافحة، وهذه الأشياء ونحوها من الأمور المبتدعة كلها مكروهة، وإنما المستحب صومه.

لكن لا يجوز لأحد أن يغيِّر شيئًا من الشريعة لأجل أحد، وإظهار الفرح والسرور يوم عاشوراء، وتوسيع النفقات فيه هو من البدع المحدثة، المقابلة للرافضة. (اقتضاء الصراط المستقيم: ص ٣٠٠، ٣٠١).

بدعة تخصيص ليلة رأس السنة الميلادية بالذكر والدعاء وقراءة القرآن

٢- الدعاء والصلاة لها أوقات في الشرع فاضلة، وقد رغَّبنا النبي صلى الله عليه وسلم بفعلها فيه، كالثلث الأخير من الليل، وهو وقت نزول الرب سبحانه وتعالى للسماء الدنيا، والحث على فعل ذلك في وقت لم يرد فيه النص الصحيح إنما هو تشريع في « السبب » و « الزمن »، والمخالفة في أحدهما كافية للحكم على الفعل بأنه بدعة منكرة، فكيف بأمرين اثنين؟!

وأما عن حكم التصدق على العائلات الفقيرة في رأس السنة الميلادية فنحن المسلمين إذا أردنا الصَّدقة؛ فإننا نبذلها للمستحقِّين الحقيقيين، ولا نتعمد جعْل ذلك في أيام أعياد الكفار، بل نقوم به كلما دعت الحاجة، وننتهز مواسم الخير العظيمة، كرمضان، والعشر الأوائل من ذي الحجَة، وغيرها من المواسم.

والأصل في المسلم الاتباع لا الابتداع، قال الله تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (آل عمران: ٣١، ٣٢).

قال ابن كثير- رحمه الله-: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل مَن ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي، في جميع أقواله، وأحواله.

٣- أنكم تتركون ما هو واجب عليكم تجاه تلك المعاصي والمنكرات، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح للمخالفين، وانشغالكم بعبادات فردية مع وجود معاص ومنكرات جماعية لا يحسُن بكم فعله.

كتاب «الأغاني» ومؤلفه الأصبهاني!

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

الأصبهاني أبو الفرج علي بن الحسين، (ت٣٥٦هـ)، صاحب كتاب «الأغاني» شيعي محترق شعوبي كاره للعرب، خبيث ملأ كتابه بالخنا والفجور والزيغ والكذب والخرافات، وكتابه عمدة لكل منحرف مفتون، لا يؤخذ عنه التأريخ أو العلم، وإليك بعض أقوال أئمة الإسلام فيه وفي كتابه:

قال الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣٩٨/١١): «..حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن القاسم بن طباطبا العلوي قال: سمعت أبا محمد الحسن بن الحسين النوبختي يقول: كان أبو الفرج الأصبهاني أكذب الناس، كان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب، فيشتري شيئًا كثيرًا من الصحف، ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منها..».

وقال ابن الجوزي في «المنتظم» (٤٠/٧، ٤١): «...ومثله لا يُوثق به؛ فإنه يصرح في كتبه بما يوجب الفسق ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى فيه كل قبيح ومنكر..».

وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١٥١/٥، ١٥٢): «..الأموي صاحب كتاب الأغاني شيعي، وهذا نادر في أموي، كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات، يأتي بأعاجيب بحدثنا وأخبرنا....».

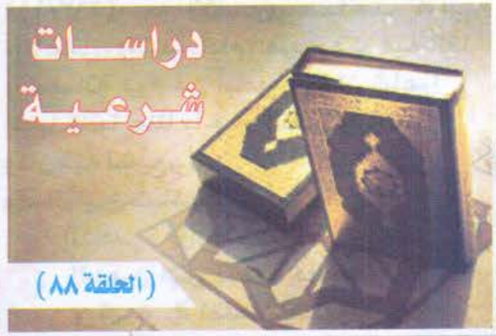
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٦٣/١١): «.. الأموي صاحب كتاب «الأغاني» وكتاب «أيام العرب» ذكر فيه ألفا وسبعمائة يوم من أيامهم، وكان شاعرًا أديبًا كاتبًا عالما بأخبار الناس وأيامهم، وكان فيه تشيُّع..».

وقال ابن شاكر الكتبي نقلاً عن الذهبي: «رأيت شيخنا تقي الدين ابن تيمية يضعّفه ويتهمه في نقله، ويستهول ما يأتي بِه، وما علمت فيه جرحا إلا قول ابن أبي الفوارس: خلّط قبل موته» (تصدير الأغاني ١٩/١).

وقال هلال بن المحسن الصابي كما في «معجم الأدباء» (١٣/ ١٠٠): «كان أبو الفرج الأصفهاني وسخا قذراً، ولم يغسل له ثوب منذ فصّله إلى أن قطعه، وكان الناس على ذلك يحذرون لسانه، ويتّقون هجاءه ويصبرون على مجالسته، ومعاشرته، ومؤاكلته، ومشاربته وعلى كل صعب من أمره، لأنه كان وسخاً في نفسه، ثم في ثوبه، وفعله..».

ويظهر الجوانِب السلبية في حياة الشعراء، مع سخريته من العقيدة والعبادات، وآل البيت والصحابة، مع المجون والتهتك والبذاءات والسبّ، ونسج من خياله المريض أن الفرس هم الذين بنوا الكعبة لابن الزبير، وكانوا يغنون بالفارسية!!

لذا ينبغي الحذر من هذا الكتاب، والابتعاد عن قراءته.



أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

النمص (٥)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نذكر بما ذكرناه في الحلقات الأربع الماضية عن (النمص):

١- الأحاديث الواردة في النمص. ٢- معنى النمص لغة. ٣- معنى النمص عند الفقهاء الأربعة. ٤- فقه الأحاديث.

ثم تكلمنا عن القرائن والترجيح، فذكرنا منها: أولاً: تخصيص النص بالعرف واللغة. ثانيًا: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. ثالثًا: القبول والرد للحديث. رابعًا: الحديث الضعيف لا يؤخذ منه حكم، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

أخرج البزار بسنده عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: "لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب كانت تقرأ القرآن، فأتته، فقالت: ما حديث بلغني عنك؟ أنك لعنت الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو في كتاب الله عز وجل، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين دفتي المصحف، فما وجدت ذلك فيه، فقال: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟) (الحشر: ٧). فقالت المرأة: إن أول شيء من هذا على امرأتك... الحديث.

وهذه الرواية مخالفة لروايات الحديث الأخرى والتي ليس فيها: إن أول شيء من هذا على امرأتك.... ولو صحت هذه الرواية فيكون الوشم هو سبب إنكار أم يعقوب؛ لأنه هو أول مذكور في الحديث.

نظرة على سند الحديث:

الرواية التي أخرجها البزار سندها كالتالي: وحدثنا يوسف بن موسى قال نا جرير، قال نا منصور بن المعتمر أبو عتاب عن إبراهيم عن علقمة قال عبد الله... الحديث (مسند البزار ح ١٤٦٩).

وهذه الرواية نفسها أخرجها الإمام مسلم:

حدثنا إسحاق بن إبراهيم وعثمان بن أبي شيبة عن جرير، بذات السند (ح ٢١٢٥)، وكذلك أخرجها عن شيبان بن فروخ، حدثنا جرير.... (السابق)، وأخرجها أبو داود عن محمد بن عيسى وعثمان بن أبى شيبة، قال: حدثنا جرير.... (السابق) (سنن أبي داود ح ٤١٦٩).

فالرواية مدارها على جرير بن عبد الحميد، تحملها عنه خمسة رواة، أربعة رووها بلفظ: فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك الآن.... على العموم هكذا دون تحديد- إن أول شيء- كما في رواية يوسف بن موسى القطان. فهل هذه المخالفة تحتمل من يوسف بن موسى من باب زيادة الثقة أم هي شاذة؟

الرواة الأربعة الذين رووا الحديث عن جرير هم: إسحاق بن إبراهيم الحنظلى (إسحاق بن راهويه): ثقة حافظ مجتهد (انظر تقريب التهذيب ت ٣٣٢)، عثمان بن أبى شيبة: ثقة حافظ شهير وله أوهام (السابق ت ٤٥١٣)، شيبان بن فروخ: صدوق يهم (السابق ت ٢٨٣٤) محمد بن عيسى: ثقة فقيه (السابق ت ٦٢١٠).

ثلاثة من الرواة الثقات اتفقوا على رواية:".. فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك الآن"، وخالفهم يوسف بن موسى القطان، وهو لا يدانيهم رتبة، فهو صدوق (السابق ٣٨٩)؛ مما يرجح أن روايته شاذة لمخالفتها لرواية الثقات.

ثانيًا: ما ورد في سنن النسائي أن سبب إنكار أم يعقوب أنها كانت زعراء (قليلة الشعر)، وهذا هو الذي دفعها للذهاب إلى ابن مسعود رضي الله عنه والإنكار عليه، وليس الوشم كما في رواية البزار، فأنكر هو عليها حلق جبينها.

خامسًا: هل يقاس الحلق والتشقير على النمص؟

الجمهور على قياس الحلق على النمص؛ بجامع أن كليهما تغيير لخلق الله، وهى العلة المصرح بها في الحديث. والحنابلة على قصر النهي على النمص فقط، وان حلق الشعر لا بأس به؛ لأن الخبر إنما ورد في النتف (انظر المغني ٧٠/١)، الشرح الكبير لابن قدامة ١٠٧/١).

وفى سؤالات ابن سنيد للشيخ ابن عثيمين: هل حلق الشعر داخل في النتف؟ فأجاب رحمه الله: إذا كان الحلق يدخل لغة في معنى النتف فإنه يمنع، لكن الفقهاء قالوا: إن النمص هو النتف وعليه فالحلق جائز..(انظر الكنز الثمين في سؤالات ابن سنيد لابن عثيمين صـ ١٦٧).

وأجاب في سؤال آخر: هل يدخل في النمص الحلق والقص أم لا؟ فأجاب: الفقهاء يقولون: إن النمص هو النتف، فالحلق لا يدخل في النمص، لكني لا أرى الحلق؛ لأنه يُقوّي أصول الشعر، والنتف يُضعفه (السابق صـ ١٦٦).

وكذلك قال: النمص هو كما قال الفقهاء الحنابلة: نتف شعر الوجه، والحلق والقص جائزان (السابق ١٦٥).

والراجح- والله أعلم ما عليه الجمهور، فالعلة من النهي عن النمص هي تغيير خلق الله، ولا شك أن هذا واضح في أخذ الشعر بالحلق أيضًا، وكما ذكر قبل ذلك- أن الحلق سيؤدي إلى غزارة شعر الوجه والحاجبين، مما يجعل المرأة لا تستغني عنه بعد ذلك؛ لأنه لو تركته سيؤدي إلى ظهورها بمظهر منفّر لتزايد شعر وجهها وحاجبيها؛ بسبب الحلق بالموس.

أما التشقير: وهو صبغ الشعر الزائد في الحاجبين بلون البشرة دون أخذ شيء من الحاجبين، فقد اختلف أهل العلم المعاصرون فيه؛ ما بين مانع ومجوّز، فمن قاس على العلة المذكورة في حديث النمص، وهي تغيير خلق الله، نهى عنه؛ كما في فتاوى اللجنة الدائمة: تشقير أعلى الحاجبين وأسفلهما لا يجوز؛ لما في ذلك من تغيير خلق الله سبحانه وتعالى، ولمشابهته للنمص المحرم شرعًا؛ حيث إنه في معناه، ويزداد الأمر حرمة إذا كان ذلك الفعل تقليدًا وتشبهًا بالكفار أو كان في استعماله ضرر على الجسم والشعر.. (فتاوى اللجنة الدائمة ١٤٤/٢٤).

ومن العلماء من جوّزه كالشيخ ابن عثيمين، فقد سئل عن التشقير فقال: يجوز تلوين شعر الحاجب بلون البشرة؛ لأن الشعر باقٍ (الكنز الثمين صـ ١٦٥).

وقاسوا التشقير على صبغ الشعر، وأن الشعر باقٍ كما هو، وإنما صُبغَ فقط، فليس في ذلك

تغييرٌ لخلق الله تعالى، لكن يحرم إذا كان التشقير للتدليس على خاطب، أو التشبه بالكافرات، أو التزين به للرجال الأجانب. ولعل ذلك هو الراجح- والله أعلم- وإن كان تركه هو الأورع، ومن باب الابتعاد عن الشبهات.

سادسا: هل تغيير خلق الله، على عمومه أم له ما خصصه؟

قال الله تعالى حكاية عن إبليس لعنه الله: (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ) (النساء: ١١٩)، والآية واردة في سياق الذم، وتغيير خلق الله مما زيَّنه الشيطان للعصاة من الناس، وكذلك في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله" (متفق عليه).

فحرمة تغيير خلق الله هو الأصل، إلا ما أذن فيه المشرع، فيخرج من هذا النهي العام.

ومثال ذلك خمس الفطرة، كما بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الفطرة خمس، أو قال: خمس من الفطرة: الختان والاستحداد، وقص الشارب، ونتف الآباط، وتقليم الأظفار" (متفق عليه).

ومن ذلك تغيير الشيب بالصبغ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون؛ فخالفوهم" (متفق عليه).

وفي الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحسن ما غُيِّر به الشيب الحناء والكتم». (صحيح سنن أبي داود).

(الكتم نوعٌ من النبات يعطي مع الحناء اللون البني القاتم، يقول الإمام أحمد: إني لأرى الشيخ المخضَّب فأفرح به (وذاكر رجلاً، فقال: لمَ لا تختضب؟ فقال: أستحي، قال: سبحان الله، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم).

فالحاصل أنه أمامنا الآن ثلاثة أقسام من الشعور:

القسم الأول: ما نهى الشرع عن تغييره، إلا ما دعت إليه الضرورة، وهذه تقدَّر بقدرها، ومن ذلك النمص والوصل، وعدم حلق شعر اللحية للرجل.

القسم الثاني: ما أمر الشرع بتغييره كالاستحداد والشارب والإبطين، فإن السنة حلق العانة (الاستحداد)، ونتف الإبطين وحف الشارب أو قصه، وقد وقَّت النبي صلى الله عليه وسلم لذلك أربعين يومًا كما في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «وقت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حلق العانة، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، ونتف الإبط أربعين يومًا" (صحيح سنن أبي داود وغيره).

القسم الثالث: ما سكت عنه المشرع فلم يأمر فيه ولم ينه، ومن ذلك شعر الصدر، وشعر الرقبة، وشعر الذراعين والساقين. فهذا إن كثر وازداد فلا بأس بإزالته؛ لأنه قد يشوِّه المنظر (انظر فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين ٢٢/٢).

ونعود لنتساءل ما الضابط في تغيير خلق الله؟ وهل كل تغيير لخلق الله محرم؟

إن الأمر فيه تفصيل، فتغيير خلق الله تعتريه الأحكام التكليفية الخمسة: الوجوب، الاستحباب، الإباحة، الكراهة، التحريم. فمن المحرم: خصاء حيوان لا يؤكل، قال النووي في المجموع نقلاً عن البغوي والرافعي: «لا يجوز خصاء حيوان لا يؤكل لا في صغره ولا في كبره، ويجوز خصاء المأكول في صغره؛ لأن فيه غرضًا وهو طيب لحمه، ولا يجوز في كبره، ووجه قولهما أنه داخل في عموم قوله تعالى إخبارًا عن الشيطان: (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله»- (المجموع ٦/١٧٧).

ومن المكروه: أخذ الرجل من شعر حاجبيه إذا طالا، قال النووي: «وينبغي أن يكره، لأنه تغيير لخلق الله لم يثبت فيه شيء، فكُره" (وذكر بعض أصحاب أحمد أنه لا بأس به، قال: وكان أحمد يفعله. (السابق ١/٢٩٠)، ومن المباح (ما سكت عنه المشرع) كشعر الرقبة والصدر ونحو ذلك للرجل، ومن المستحب: إزالة المرأة شعر لحيتها أو شاربها إذا نبتا، يقول النووي: «أما المرأة إذا نبتت لها لحية فيستحب حلقها، صرح به القاضي حسين وغيره، وكذا الشارب والعنفقة لها (السابق ١/٢٩٠).

ومن التغيير الواجب: الختان للرجل.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

أحكام الصلاة

الأشياء التي ورد النهي عنها في الصلاة

الكلام في الصلاة

الحلقة الأولى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نبدأ في هذا العدد الحديث عن الأشياء التي ورد النهي عنها في الصلاة في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحاول بحثها تباعاً لمعرفة ما يتعلق بها من أحكام.

ومن أهم هذه الأشياء المنهي عنها في الصلاة:

إعداد/ د. حمدي طه

أولاً: الكلام في الصلاة:

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الصَّلاَةَ تَبْطُل بِالْكَلاَمِ من حيث الجملة، وَذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ- الْحَنَفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ- إِلَى أَنَّ الْكَلاَمَ الْمُبْطِل لِلصَّلاَةِ مَا انْتَظَمَ مِنْهُ حَرْفَانِ فَصَاعِدًا، وهناك تفاصيل كثيرة ذكرها الفقهاء في ذلك لا يتسع المقام لذكرها (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧/١١٦).

قال الإمام النووي: كلام المصلي هو ثلاثة أقسام:

أحدها: يتكلم عامدًا لا لمصلحة الصلاة فتبطل صلاته بالإجماع، نقل الإجماع فيه ابن المنذر وغيره. (المجموع: ٤/٨٥).

وقد ورد النهي عن الْكَلاَم أثناء الصلاة في أكثر من حديث، منها مَا رَوَى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا كنا بمكة قبل أن نأتي أرض الحبشة، فلما قدمنا من أرض الحبشة أتيناه فسلمنا عليه فلم يرد، فأخذني ما قرب وما بعد، حتى قضوا الصلاة، فسألته فقال: "إن الله عز وجل يحدث في أمره ما يشاء، وإنه قد أحدث من أمره أن لا نتكلم في الصلاة". رواه أحمد، وقال شعيب الأرناءوط: صحيح وهذا إسناد حسن.

وَمَا رَوَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ- رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُ- قَال: كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلاَةِ، يُكَلِّمُ الرَّجُل صَاحِبَهُ وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ فِي الصَّلاَةِ حَتَّى نَزَلَتْ «وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ وَنُهِينَا عَنِ الْكَلاَمِ أخرجه مسلم.

هذان الحديثان يدلان على أن الكلام في الصلاة كان مشروعاً في أول الأمر، ثم نُسخ بعد ذلك.

وكلمة "قانتين" في هذه الآية تعني ساكتين مُمْسكين عن كلام الناس.

هذا هو المعنى المقصود من القنوت في هذه الآية الكريمة أخذاً من سبب النزول، فالقانت هو الذي لا يتكلم في صلاته إلا الكلام المشروع من قراءة وذكر للهِ عزَّ وجلَّ كل في موضعه كما علمنا النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَبيان ذَلِكَ مَا رَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ- رَضِيَ اللهِ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكل أُمِّيَاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنُ تَعْلِيمًا مِنْهُ. فَوَالله مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي، قَالَ: إِنَّ هَذِه الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أخرجه مسلم.

ورواه أبو داود بلفظ «إن هذه الصلاة لا يحل فيها شيء من كلام الناس هذا، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن».

ومنها أيضاً حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «أرسلني نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق فأتيته وهو يصلي على بعيره، فكلمته فقال لي بيده هكذا ثم كلمته، فقال لي بيده هكذا، وأنا أسمعه يقرأ ويومئ برأسه فلما فرغ، قال: ما فعلت في الذي أرسلتك فإنه لم يمنعني أن أكلمك إلا أني كنت أصلي» رواه أحمد ومسلم.

فهذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على أن الكلام مع الناس ممنوع في أثناء الصلاة. وهي مستند إجماع العلماء على أن من تكلم في الصلاة عامدًا لغير مصلحتها ولغير واجب وجب عليه ولا خروج منه إلا بالكلام فيبطل صلاته إجماعًا. (شرح الزاد للحمد ٢١٤/٥).

فإذا كان الأمر كذلك فاعلم أن الكلام في الصلاة إما كلام مشروع، وإما كلام ممنوع، والكلام المشروع في الصلاة على ضربين: الأول: كلام مشروع متعين لا يحل غيره محله كقراءة الفاتحة والتكبير والتسبيح والتشهد، كل في موضعه الذي بينه لنا النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني: مشروع غير متعيِّن كالأدعية في الركوع والسجود والجلوس، وكذكر الله تعالى مما ندب إليه واستُحب.

أما **الضرب الأول** فهو من الأقوال التي تتشكل الصلاة منها، وهذا الكلام يدور بين الوجوب والندب.

وأما **الضرب الثاني** فهو من الأقوال والكلام المأذون به في الصلاة، وهو دون الأقوال التي تتشكل الصلاة منها، بمعنى أنه لو قالها أو لم يقلها أو أكثر منها أو قلَّل، فالصلاة باقية على حالها وشكلها.

والكلام الممنوع في الصلاة على ضربين: الأول:

هو ما سوى القراءة والذكر والدعاء والتسبيح والتحميد مما لم يُشْرع في الصلاة، ودليل ذلك ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «مفتاح الصلاة الطُهور، وتحريمُها التكبير، وتحليلُها التسليم» رواه أحمد والترمذي.

ووجه الدلالة قوله صلى الله عليه وسلم: (وتحريمها التكبير) فالدخول في الصلاة بالتكبير يجعل كل كلام غير كلام الصلاة محرَّماً، وهذا الحكم عام يشمل المكتوبة كما يشمل النافلة، ويشمل الإمام، ويشمل كذلك المأموم والمنفرد.

والضرب الثاني: هو ما كان موجَّهًا لغير الله، فمثل ذلك غير صالح في الصلاة، مع أن أصله قد يكون واجباً أو مستحباً. ومن هنا فإن تشميت العاطس والتسليم على الناس والحديث مع الناس في مختلف الشؤون حرام لا يجوز في أثناء الصلاة. وقد مر معنا في رواية لأبي داود لحديث معاوية بن الحكم

السلمي قوله- صلى الله عليه وسلم-: «إن هذه الصلاة لا يحلُّ فيها شيء من كلام الناس هذا، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن».

ووجه الدلالة قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يحلُّ فيها شيء من كلام الناس هذا)، فهو يفيد حرمة كل كلام سوى ما ذُكر؛ لأن لفظ "إنما" يفيد حصر الكلام المشروع فيما ذكر، ويؤيد ذلك رواية لأبي داود بلفظ: «إنما الصلاة لقراءة القرآن وذكر الله عزَّ وجلَّ، فإذا كنت فيها فليكن ذلك شأنك». فقوله- صلى الله عليه وسلم-: (إنما) يفيد الحصر، فيحصر الكلام بقراءة القرآن وذكر الله عزَّ وجلَّ، ولا يزاد عليهما مما يخاطب به الناس. (الجامع لأحكام الصلاة لمحمود عويضة ٣١٣/٢ بتصرف).

ويدل على ذلك أيضاً حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « أرسلني نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق فأتيته وهو يصلي على بعيره، فكلمته فقال لي بيده هكذا، ثم كلمته فقال لي بيده هكذا، وأنا أسمعه يقرأ ويومئ برأسه، فلما فرغ قال: "ما فعلت في الذي أرسلتك فإنه لم يمنعني أن أكلمك إلا أني كنت أصلي» رواه أحمد ومسلم.

فهذا واضح الدلالة على أن الكلام مع الناس ممنوع في أثناء الصلاة.

واستثنى أهل العلم من ذلك ما لا يتوجه به المصلي إلى الغير بشرط أن يكون من الدعاء أو الذكر، فلو عطس المصلي في صلاته فلا بأس بأن يقول (الحمد لله) في نفسه، وهكذا مما يدخل تحت الدعاء وذكر الله سبحانه، والأصل في ذلك حديث رفاعة رضي الله عنه قال: «صليت خلف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فعطستُ فقلتُ: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحبُّ ربنا ويرضى، فلما صلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- انصرف فقال: مَن المتكلم في الصلاة؟ فلم يتكلم أحد، ثم قالها الثانية: مَن المتكلم في الصلاة؟ فلم يتكلم أحد، ثم قالها الثالثة: مَن المتكلم في الصلاة؟ فقال رفاعة بن رافع بن عفراء: أنا يا رسول الله، قال: كيف قلت؟ قال قلت: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحبُّ ربنا ويرضى، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: والذي نفسي بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون مَلَكاً أيهم يصعد بها» رواه الترمذي والنَّسائي.

وكذلك أيضاً الكلام والدعاء الذي يصاحب قراءة القرآن، فالمصلي إذا قرأ القرآن في الصلاة جاز له الوقوف عند بعض الآيات يدعو ويتعوَّذ بما يتناسب مع ما يقرأ، والأصل في ذلك ما روي حُذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي- صلى الله عليه وسلم- ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ ثم ركع...» رواه مسلم.

فهذه الأدعية والتعوُّذات تندرج تحت ذكر الله سبحانه، وهذا الحديث وإن كان ورد في النافلة فقد سبق معنا أن ما جاز في النَّفل جاز في الفرض إلا بدليل، وما جاز في الفرض جاز في النَّفْل إلا بدليل؛ لأن الأصل تساويهما في الحُكم. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٢٤٠/٣).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التربية على أداء الأمانة

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي قِصَّةِ هِجْرَتِهِمْ إِلَى الْحَبَشَةِ وَإِكْرَامِ النَّجَاشِيِّ نُزُلَهُمْ، وَبَعْثِ قُرَيْشٍ إِلَيْهِ لِيَرُدَّهُمْ، فَأَبَى- رَحِمَهُ اللَّهُ- حَتَّى يَسْمَعَ مِنْهُمْ. قَالَتْ فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ. (مسند أحمد ١٧٤٠ وصححه الألباني).

تضمن هذا الحديث الأصول والمبادئ التي اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتربية أصحابه عليها وهو في مكة، وقد تحدثنا عن الصدق ومكانته في الإسلام، وحديثنا في هذا المقال عن أداء الأمانة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

لقد أمر الله تعالى بأداء الأمانة فقال: « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» (النساء: ٥٨)، ونهى عن الخيانة فقال: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» (الأنفال: ٢٧).

وَعَدَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الأمانة من الإيمان، والخيانة من النفاق والطغيان: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَّا قَالَ: « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » (أخرجه أحمد ١٢٣٨٣ وصححه الألباني).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» (صحيح البخاري: ٣٣).

قال الرازي عفا الله عنه: "مُعَامَلَةُ الْإِنْسَانِ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَعَ رَبِّهِ، أَوْ مَعَ نَفْسِهِ، أَوْ مَعَ سَائِرِ الْعِبَادِ، وَلَا بُدَّ مِنْ رِعَايَةِ الْأَمَانَةِ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ.

أَمَّا رِعَايَةُ الْأَمَانَةِ مَعَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ: فَهِيَ فِي فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ، وَهَذَا بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: الْأَمَانَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَازِمَةٌ، فِي الْوُضُوءِ، وَالْجَنَابَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ" (التفسير الكبير (١٤٣/١٠)).

وَهَكَذَا كُلُّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الشَّرَائِعِ يَجِبُ أَنْ تُؤَدِّيَهُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَكُلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَجِبُ أَنْ تَجْتَنِبَهُ، فَمَنْ فَعَلَ الْوَاجِبَاتِ وَتَرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي: وَهُوَ أَمَانَةُ الْإِنْسَانِ مَعَ نَفْسِهِ فَهُوَ أَنْ لَا يَخْتَارَ لِنَفْسِهِ إِلَّا مَا هُوَ الْأَنْفَعُ وَالْأَصْلَحُ لَهُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَأَنْ لَا يُقْدِمَ بِسَبَبِ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ عَلَى مَا يَضُرُّهُ فِي الْآخِرَةِ. (التفسير الكبير (١٤٣/١٠)).

وَلا يَنْفَعُ النَّفْسَ شَيْءٌ مِثْلَ الإيمان، وَلا يَضُرُّها شَيْءٌ مِثْلَ الكُفْر، وَلا يَنْفَعُها بَعْدَ الإيمان شَيْءٌ مِثْلَ الطَّاعَة، وَلا يَضُرُّها بَعْدَ الكُفْر شَيْءٌ مِثْلَ المَعْصِيَة.

فَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَقَدْ أَدَّى الأَمَانَةَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِه، وَمَنْ كَفَرَ بِاللهِ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ، وَمَنْ تَرَكَ الطَّاعَةَ وَفَعَلَ المَعْصِيَةَ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ.

وَأَمَّا القِسْمُ الثَّالِثُ: وَهُوَ رِعَايَةُ الأَمَانَةِ مَعَ سَائِرِ الخَلْقِ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ فِيهِ الزَّوْجَةُ وَالأَوْلادُ، فَهُمْ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِيهِمْ، وَأَنْ تَرْعَى مَصَالِحَهُمُ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ، وَأَنْ تَأْمُرَهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ، وَتُرْشِدَهُمْ إِلَى الخَيْرِ، حَتَّى يَنْجُوا مِنَ النَّارِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » (التحريم: ٦).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ» (أخرجه أبو داود ٤٩٥ وصححه الألباني).

وَيَجِبُ عَلَى المَرْأَةِ أَنْ تَكُونَ أَمِينَةً عَلَى مَالِ زَوْجِهَا وَأَوْلادِهِ وَجَمِيعِ أَسْرَارِه، وَأَنْ تَحْفَظَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِه.

وَيَدْخُلُ فِي رِعَايَةِ الأَمَانَةِ مَعَ سَائِرِ الخَلْقِ تَعْلِيمُ العِلْمِ، وَعَلَى المُعَلِّمِينَ فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِ التَّعْلِيمِ أَنْ يُؤَدُّوا الأَمَانَةَ فِي التَّعْلِيمِ، فَيَسْلُكُوا بِالطَّلَبَةِ أَقْرَبَ الطُّرُقِ إِلَى تَفْهِيمِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ، وَأَنْ يُعَامِلُوا كُلَّ طَائِفَةٍ بِمَا تَتَحَمَّلُهُ عُقُولُهُمْ وَأَفْهَامُهُمْ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَرْكِزُوا فِي نُفُوسِهِمْ حُبَّ اللهِ وَحُبَّ رَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ يَغْرِسُوا فِي نُفُوسِهِمْ قَوَاعِدَ الدِّينِ وَأُسُسَهُ وَأَهْدَافَهُ لِيَرْسَخَ فِي قُلُوبِهِمْ. (الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ص ٢٢١).

وَيَدْخُلُ فِي رِعَايَةِ الأَمَانَةِ مَعَ سَائِرِ الخَلْقِ مَصَالِحُ العَامَّةِ عِنْدَ المُوَظَّفِينَ، فَقَدْ وَضَعَتِ الحُكُومَةُ كُلَّ مُوَظَّفٍ فِي مَكَانِهِ لِيَقُومَ بِقَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ وَمَصَالِحِهِمْ وَحَلِّ مَشَاكِلِهِمْ، فَعَلَى كُلِّ مُوَظَّفٍ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ فِيمَا ائْتُمِنَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَقُومَ بِمَا عُهِدَ إِلَيْهِ، وَلا يَجُوزُ الإِهْمَالُ وَالتَّقْصِيرُ فِي ذَلِكَ، كَمَا لا يَجُوزُ لَهُ تَعْطِيلُ مَصَالِحِ النَّاسِ لِيَحْصُلَ مِنْهُمْ عَلَى مَالٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، فَإِنَّ هَذَا خِيَانَةٌ لِلأَمَانَةِ وَأَكْلٌ لأَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ:

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «هَدَايَا العُمَّالِ غُلُولٌ» (أخرجه أحمد ٢٣٦٠١ وصححه الألباني).

وَيَدْخُلُ فِي رِعَايَةِ الأَمَانَةِ مَعَ سَائِرِ الخَلْقِ كُلُّ مَا يَأْتَمِنُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ: كَالدَّيْنِ، وَالوَدِيعَةِ، وَالعَارِيَةِ، وَالكَيْلِ وَالمِيزَانِ، وَالثَّمَنِ المُؤَجَّلِ، وَقِيمَةِ الإِيجَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ » (البقرة: ٢٨٢).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: لَمْ يُرَخِّصِ اللهُ لِمُوسِرٍ وَلا مُعْسِرٍ أَنْ يُمْسِكَ الأَمَانَةَ (البحر المحيط في التفسير (٣/٢٧٧)).

قَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَهَذَا إِجْمَاعٌ. (الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٥٦)).

وَلَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم المَثَلَ الأَعْلَى فِي أَدَاءِ الأَمَانَةِ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللهُ: وَلَمْ يَعْلَمْ فِيمَا بَلَغَنِي بِخُرُوجِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَحَدٌ حِينَ خَرَجَ إِلا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَآلُ أَبِي بَكْرٍ. أَمَّا عَلِيٌّ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم - فِيمَا بَلَغَنِي - أَخْبَرَهُ بِخُرُوجِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ، حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الوَدَائِعَ، الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُخْشَى عَلَيْهِ إِلا وَضَعَهُ عِنْدَهُ، لِمَا يُعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ. (سيرة ابن هشام ت السقا (٢/١٢٩)).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

اتبعوا ولا تبتدعوا

ولاية الله بين أهل السنة ومخالفيهم

الحلقة الأولى

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، لاسيما عبده المصطفى وآله المستكملين الشرفا.. وبعد:

فلكي نفهم الإسلام فهمًا صحيحًا لابد من الرجوع لسلف هذه الأمة في فهم الكتاب والسُّنة، وإلا فإسلام الشيعة يختلف عن إسلام الصُّوفية والخوارج والمعتزلة، وكل هؤلاء يخالفون ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

إعداد/ معاوية محمد هيكل

وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم ومدح طريقتهم بقوله: " فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ " (البقرة ١٣٧).

وأثنى عليهم نَبِيُّنا صلى الله عليه وسلم فقال: "خير الناس قَرْني، ثم الذين يَلونهُم، ثم الذين يلونهم "(البخاري: ٢٥٠٩).

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على التمسك بِمَنهجهم والاعتصام به فقال: " فإنَّه من يَعِشْ مِنكم فَسَيرَى اختلافًا كثيرًا، فعَليكُم بِسُنَّتي وسُنة الخُلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمور، فإن كل مُحدَثة بدعَة، وكل بدعة ضلالَة" (صحيح أبي داود للألباني).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من كان منكم مُستَنًا، فليَستَن بمن قد مات، فإنَّ الحي لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقُها علماً، وأقلُّها تكلفاً، قومٌ اختارهم الله لإقامة دينه، وصحبة نبيه، فاعرفوا لهم حقَّهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " (مدارج السالكين: ٤٣٦/٣).

فالدينُ الخالص الذي ارتضاه الله لعبَاده هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصَحابتُه الكرام علمًا وعملاً واعتقادًا.

وعلى أساس ذلك المنهج السَّلفي النَّقي نتناول في هذا المقال حقيقةَ الولاية بين أهل السُّنة ومُخالفيهم من خلال هذا الحديث النبوي الشريف الذي يُعدَ العُمدة في هذا الباب لما حَواهُ من عظيم الفوائد، وجَليل الفَرائد. فنقول مستعينين بالله تعالى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنَّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترَضتُ عليه، وما يزال عبدِي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببتُه: كنتُ سمعَه الَّذي يسمَعُ به، وبصرَه الَّذي يُبصرُ به، ويدَه الَّتي يبطشُ بها، ورجلَه الَّتي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي عن نفسِ المؤمن، يكرهُ الموتَ وأنا أكرهُ مساءتَه" (صحيح البخاري: ٦٥٠٢).

- منزلة الحديث وأهميته:

- هذا حديث جليل القدر عظيم الشأن، يُجلّي لنا منزلةَ أولياءِ الله وأحبائه في الدنيا والآخرة؛ قال عنه شيخ الإسلام: « هو أشرفُ حديث رُوِي في صفة الأولياء »مجموع الفتاوى (١٨/١٢٩).

- وقال الشوكاني رحمه الله: «حديث (من عادى لي وليًا) قد اشتمل على فوائد كثيرة النفع جليلة القدر لمن فهمها حق فهمها، وتدبرها كما ينبغي». (قطر الولي للشوكاني ص٢٢٩).

- وقال صاحب الإفصاح الوزير ابن هبيرة رحمه الله: «في هذا الحديث من الفقه أن الله تعالى قدم الإعذار إلى كل من عادى وليًا؛ بأنه محاربه بنفس المعاداة». (شرح الأربعين لابن دقيق العيد ص١٢٠).

- قال الطوفي: «هذا الحديث أصل في السلوك إلى الله والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقه، إذ المفترضات الباطنة وهي الإيمان، والظاهرة وهي الإسلام، والمركب منهما وهو الإحسان فيهما، كما تضمنه حديث جبريل، والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهد والإخلاص والمراقبة وغيرها». (فتح الباري ١١/٣٤٥).

الفوائد المستفادة من الحديث:

في الحديث من الفوائد الأصولية والتوجيهات التربوية ما نحتاج إلى أن نقف عندها ونتأملها، من ذلك:

١- فيه بيان صفة الولي على الحقيقة:

فالولي: هو من نصرَ الله بإيمان صحيح، وصدَّق إيمانه بصلاح عمله، وقد وصفَ الله تعالى أولياءه فقال في كتابه: «أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ» (يونس: ٦٢- ٦٣).

قال ابن زيد: «أبى أن يتقبَّل الإيمان إلا بالتقوى». (تفسير الطبري ١٥/١٢٣).

وليس ثمة تقوى إلا بفعل المأمور وترك المحذور، قال شيخ الإسلام: «فكل من كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا». (الفتاوى ٢/٢٢٤).

وقال الحافظ ابن حجر: المراد بولي الله: العالم بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته. (الفتح: ١١/٣٤٢).

فمن ادعى ولاية الله، وليس مؤمنًا تقيًا؛ فهو كاذب؛ بل هو ولي للشيطان «وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا» (النساء: ١١٩)، قال شيخ الإسلام: «فمن لم يكن له مصدِّقًا فيما أخبر، مُلتزمًا طاعته فيما أوجبَ وأمر به، في الأمور الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمنًا؛ فضلاً عن أن يكون وليًّا لله؛» (الفتاوى: ١٠/٤٣١).

قال الشوكاني رحمه الله: «المعيار الذي تُعرف به صحة الولاية، هو أن يكون عاملاً بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم-، مؤثراً لهما على كل شيء، مقدماً لهما في إصداره وإيراده، وفي كل شؤونه، فإذا زاغ عنهما زاغت عنه ولايته »، وبذلك نعلم أن طريق الولاية الشرعي ليس سوى محبة الله وطاعته واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن كل من ادعي ولاية الله ومحبته بغير هذا الطريق، فهو كاذب في دعواه».

«فأولياءُ الله هُم خُلَّصُ المؤمنينَ، لأنهُم قرُبوا من اللهِ سُبحانهُ بطاعته واجتنابِ معصيتِه». (فتح القدير (٢/٤٣٦)).

العلماء سادات الأولياء:

قال الإمام أبو حَنيفة رحمه الله: إن لم يكن أولياء الله في الدنيا والآخرة الفقهاء والعلماء فليس لله ولي». (الفقيه والمتفقه: ١/١٥٠).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «إن لم يكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة فما لله ولي». (الفقيه والمتفقه: ١/٣٦).

وقال ابن القيم رحمه الله: «ورثة الأنبياء سادات أولياء الله عزوجل». (مفتاح دار السعادة: ١/٢٦٢).

- قال ابن عثيمين رحمه الله: العلماء ورثة الأنبياء.. وإذا كان الأنبياء لهم حق التبجيل والتعظيم والتكريم، فلمَن ورثهم نصيب من ذلك، أن يُبجل ويُعظم ويُكرم.. وبتوقير العلماء توقر الشريعة؛ لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تهان الشريعة). (شرح رياض الصالحين: ٣/٢٣٢).

٢- فيه فضيلة أولياء الله تعالى، وأن الله يُحبُّهم ويُدافع عنهم وينصرُهم.. قال تعالى: «إن الله يُدافع عن الذين آمنوا».

قال الشيخ السعدي: كل مُؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه؛ فمُستقل ومُستكثر. (تفسير السعدي: ٥٣٩).

وقال أبو الفضل بن عطاء: في هذا الحديث عِظم

قدْر الولي؛ لكونه:
- خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه.
- وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له. (فتح الباري (١١/٣٤٦)).

٣- فيه البشارة لأولياء الله بخيري الدنيا والآخرة: قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ» (فصلت: ٣٠- ٣١).

وقال جل وعلا: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» (الأنعام: ٨٢).

فالله جل وعلا يتولى الصالحين؛ فلا يسمعون ولا يُبصرون ولا يَبطشون ولا يَمشون إلا على مُقتضى ما يُحبُّ الله ويرضى به عنهم... وليس بعد هذه الكرامة كرامة.

قال شيخ الإسلام: «إنما غاية الكرامة: لزوم الاستقامة، فلم يُكرم الله عبدا بمثل أن يُعينه على ما يُحبه ويرضاه، ويَزيده مما يُقرِّبه إليه، ويرفع به درجته". (الفتاوى (١١/٢٩٨))

قال السعدي رحمه الله: «أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

وأما في الآخرة، فأولها: البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ».

وفي القبر، ما يبشر به من رضا الله تعالى، والنعيم المقيم.

وفي الآخرة، تمام البشرى، بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم" (تفسير السعدي: ٣٦٨).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: يحصل له المطلوب في قوله: «ولئن سألني لأعطينه"، ويزول المرهوب في قوله: «ولئن استعاذني لأعيذنه" (شرح الأربعين (٣٨١)).

٤- فيه الترهيب من معاداة أولياء الله؛ وأن العقوبة هي الحرب مع الله، وهذا دليل على علو شأنهم وسمو قدرهم عند ربهم، فيا ضيعة مَن بارز الله وحاربَه!

قال الفاكهاني: في هذا تهديد شديد؛ لأن من حاربه الله أهلكه. (فتح الباري (١١/٣٤٢)).

قال السعدي رحمه الله: «فأخبر أن معاداة أوليائه معاداة له ومحاربة له. ومن كان متصديا لعداوة الرب ومحاربة مالك الملك فهو مخذول، ومن تكفل الله بالذبّ عنه فهو منصور، وذلك لكمال موافقة أولياء الله لله في محابه، فأحبهم وقام بكفايتهم، وكفاهم ما أهمهم" (بهجة قلوب الأبرار ١/١٣٩).

- لحومُ العُلَماء مَسْمومَة

- قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله: اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار مُنتقصيهم معلومة، فإن من أطلق لسانه في العلماء بالثَّلب، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعٌ وَخيم « فليَحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يُصيبَهُم عذابٌ أليم ». (تبيين المفتري: ص٢٩).

قال الإمام الطحاوي في متنه المبارك: «وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين- أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر- لا يُذكَرُون إلاَّ بالجميل، ومَن ذكرَهم بسُوء، فهو على غير السَّبيل" (شرح الطحاوية (٢/٧٤٠).

قال ابن المبارك: (من استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته....) «سير أعلام النبلاء» (٨/٤٠٨).

وقال أبو سنان الأسدي: (إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس؛ متى يُفلح؟!) «ترتيب المدارك» (٢/١٤).

وقال جعفر بن سليمان: سمعت مالك بن دينار يقول: (كفى بالمرء شراً أن لا يكونَ صالحاً، وهو يَقعُ في الصالحين) (شعب الايمان للبيهقي) (٥/٣١٦).

٥- فيه فضيلة أن يكون الإنسان عبداً لله، فقوله: «وما تقرَّب إليَّ عبدي"، «وما يزالُ عبدي"، هذه الإضافة إلى الله جل وعلا هي إضافة تشريف وتكريم للعبد.

قال الشاعر:

ومما زادني شرفا وفخرا
وكدتُ بأخمصي أطأُ الثُريا
دُخولي تحت قولك: «يا عبادي»
وأنْ صيَّرتَ «أحمدَ» لي نبيًا

- وقد وصف الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالعبودية في أشرف المقامات فقال تعالى: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا» (الإسراء ١).

قال السعدي رحمه الله: "وذكرُه هنا- وفي مقام الإنزال للقرآن ومقام التحدي- بصفة العبودية لأنه نال هذه المقامات الكبار بتكميله لعبودية ربِّه". (تفسير السعدي (٤٥٣))

٦- فيه أن أجر الفريضة أعظم من النافلة، فكلاهما مما يُقرِّبُ العبدَ إلى الله؛ إلا أن الفريضة أحبَّ إليه من النافلة.

قال ابن هبيرة: "النافلة لا تُقدَّم على الفريضة؛ لأن النافلة إنما سُمِّيت نافلة؛ لأنها تأتي زائدة على الفريضة؛ فما لم تُؤدَّ الفريضة لا تحصل النافلة، ومن أدَّى الفرضَ، ثم زاد عليه النفلَ، وأدامَ ذلك تحققتْ منه إرادة التقرُّب".

ثم قال الحافظ ابن حجر: "فتبيَّن أن المراد من التقرب بالنوافل: أن تقع ممن أدَّى الفرائض، لا مَن أخلَّ بها! كما قال بعض الأكابر: مَن شغَلَهُ الفرضُ عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفلُ عن الفرض فهو مغرور". (فتح الباري (١١/٣٤٣))

٧- فيه إثبات صفة الكُره، وصفة المحبة لله سبحانه وتعالى، فالله تعالى يُحبُّ أولياءه، ويكرهُ ما يَسوؤهم

وقاعدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب: أنهم يُثبتونَ لله ما وصف به نفسه في الكتاب والسنة: إثباتا حقيقيا دون تمثيل، وتنزيها عن مشابهة خَلْقه دون تعطيل لصفاته على وفق قول الله تعالى: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» فأثبت السمع والبصر لذاته العليَّة، ونفى عنها مماثلة شيء مما خلَق وبَرَأ.

قال شيخ الإسلام: ففي قوله: «ليس كمثله شيء» ردٌّ للتشبيه والتمثيل، وقوله: «وهو السميع البصير» ردٌّ للإلحاد والتعطيل. (التدمرية (٨)).

٨- فيه الإشارة إلى أن أصل الولاء والبراء مبني على الطاعة والمعصية، فمن كان وليا لله فتجب محبته وموالاته..

وتكون هذه المحبة على قدر الولاية، قال تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ» المائدة(٥٥- ٥٦).

٩- فيه أن الاستقامة على دين الله من مظانِّ إجابة الدعاء. وهي في قوله عن الولي: "ولئن سألني لأعطينه".

١٠- فيه لطيفة، وهي كون العبد الذي وصل إلى أعلى مقامات العبودية بفعل الفرائض والنوافل؛ فإنه لا غنى له عن التضرع إلى الله والالتجاء إليه.. ولذلك جاء في الحديث: "وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه" فتأمل.

١١- فيه الإشارة إلى كرامة للولي عند موته: قال الكلاباذي: وقد يُحدثُ الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده، والشوق إليه، والمحبة للقائه، ما يَشتاق معه إلى الموت؛ فضلا عن إزالة الكراهة عنه؛ فأخبر أنه يكره الموت ويسوؤه، ويكره الله مساءته؛ فيُزيل عنه كراهية الموت لما يُورده عليه من الأحوال؛ فيأتيه الموت وهو له مُؤثِر، وإليه مُشتاق. (فتح الباري (١١/٣٤٦)).

وهذا مصداق قول النبي: مَن أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقَاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت؟ قال: ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت: بُشِّر برضوان الله وكرامته؛ فليس شيء أحبَّ إليه مما أمامه؛ فأحبَّ لقاء الله، وأحبَّ الله لقاءه. (صحيح البخاري (٦٥٠٧)).

١٢- فيه رد على غُلاة المتصوفة الذين يرون أن التكاليف الشرعية تسقط عمن وصل إلى الدرجة التي يُسمُّونها بـ: ‹اليقين›! وذكروا عن بعضهم أنه كان لا يُصلي ولا يصوم! فأي دين يتعبد به القوم؟! ولو كانت التكاليف الشرعية تسقطُ عن أحد من عباد الله؛ لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى من كل أحد بهذا؛ فقد كان أعبدَ الناس لله، وأتقاهم له، وأخشاهم منه، وأعلمهم به..

وقد وصفت أم المؤمنين عائشة اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة، فقالت رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقومُ من الليل حتى تتفطَّر قدماه، ويقول: أفلا أحبُّ أن أكونَ عبدًا شكورًا؟! (متفق عليه (٤٨٣٧) (٢٨٢٠)).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

أخطاء الآباء في تربية الأبناء (١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

فإن الإنسانية اليوم تعاني من ضياع الطفولة: إما بسبب المبالغة في الإباحة والتدليل، وانعدام الضوابط في معاملة الأطفال، وإما بسبب الإفراط في الشهوات وانعدام ضوابط الغرائز انعدامًا أضاع ملايين الأطفال غير الشرعيين، وإما بسبب الإفراط في ابتذال المرأة إفراطا جعلها تخالط الرجال في كل شيء، فتفقد أنوثتها ومكانتها الأولى في تربية الأطفال، ومن كل ذلك نشأ تفكك بنيان الأسرة، وضاعت الطفولة، كما ضاعت الأنوثة والرجولة جميعًا، إلا من رحم الله، وأصبحت الإنسانية تعيش في بؤس وتيه وشقاء.

إعداد/ جمال عبد الرحمن

وكان للتربية الغربية الحديثة نصيب لا يُستهان به من المسئولية عن هذا الضياع والبؤس والشقاء، لذلك لا يجد العاقل بُدًّا من البحث عن بديل لها. خاصة وأن الأطفال بين يدي المربين أشبه بالمرضى بين يدي الأطباء، فإذا أحسن الطبيب تشخيص المرض وتحديد أسبابه، ووصف العلاج الصحيح صح المريض وعوفي بإذن الله، وإذا أخطأ الطبيب تشخيص المرض؛ انحرف عن سبيل الوقاية والعلاج، ومن ثم استفحل المرض واشتد، وهلك المريض، أو بقي بمرضه وضعفه وهزاله وتعطله.

ويختلف أسلوب التعامل مع الطفل من شخص لآخر ومن طفل لطفل... ومن وقت لآخر. لكنه في المحصلة والنتيجة تنتج أخطاء مهلكة ومدمرة.

من هذه الأخطاء:

أولاً: القسوة والغلظة والفظاظة:

إن القسوة والشدة في العقاب تنتج نماذج مضطربة التفكير، غير قادرة على قيادة أنفسها، فضلاً عن قيادة الآخرين.

لقد ساد في الزمان الماضي أن القسوة وشدة الضرب هي التي تنمي القوة والشجاعة والرجولة لدى الأطفال، وتجعلهم قادرين على تحمل المسئولية، والاعتماد على الذات، ويفرح المربي أن ابنه أو بنته إذا رآه انحبست أنفاسهم، وخشعت أصواتهم، فلا تسمع إلا همسًا، وقد ثبت خطأ هذا التصور، لأن القسوة تترك آثاراً نفسية مؤلمة على الأطفال، وتدفع الأطفال إلى العناد والعدوانية، وتعيق وصولهم إلى مرحلة النضج العقلي، وتشعرهم دائماً بالدونية والإهانة وفقدان الكرامة.

ولا يعني هذا أننا نمنع من العقاب على الإطلاق، بل ينبغي أن يكون هناك عقاب أحياناً، على ألا يتعدى هذا العقاب حدود الرحمة والرفق، بل يكون حجمه كحجم الملح الذي يوضع في الطعام لإصلاحه.

فعلى الآباء أن يقتدوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم وأن يعاملوا أبناءهم بالرحمة واللين في توجيههم وفي تربيتهم لهم، وهذا هو هديُ النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة الصغار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من

الولد ما قَبَّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله فقال: «من لا يرحم لا يُرحم» (متفق عليه).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: «نعم» قالوا: لكنا والله ما نقبل، فقال رسول الله: «أو أملك إن كان الله نزع الرحمة من قلبك» (متفق عليه).

وكثيرًا ما ينفعل المربي فيفقد صوابه وينسى الحلم وسعة الصدر فينهال على الطفل معنفًا وشاتمًا له بأقبح وأقسى الألفاظ، وقد يزداد الأمر سوءًا إذا قرن العنف والصرامة بالضرب.

وهذا ما يحدث في حالة العقاب الانفعالي للطفل الذي يُفقدُ الطفل الشعور بالأمان والثقة بالنفس، كما أن الصرامة والشدة تجعل الطفل يخاف ويحترم المربي في وقت حدوث المشكلة فقط (خوف مؤقت) ولكنها لا تمنعه من تكرار السلوك مستقبلاً.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ شَانَهُ، وَلا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ» قَالَ مَعْمَرٌ: «وَبَلَغَنِي أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيِيَّ الْحَلِيمَ الْمُتَعَفِّفَ، وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ». جامع معمر بن راشد ح٢٠١٤٥.

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا كَانَتْ عَلَى جَمَلٍ فَجَعَلَتْ تَضْرِبُهُ بِضَرْبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ». (مسند أبي داود الطيالسي ح١٦١٩).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " السَّامُ عَلَيْكُمْ "، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ يَا إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ، فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ، مَهْ " (أي: تمهلي)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ قَالَ: " أَوَ مَا سَمِعْتِ مَا رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ؟ يَا عَائِشَةُ، لَمْ يَدْخُلِ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ". (مسند أحمد ح١٣٥٣١).

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالرحمة، ونهى عن الشدة والقسوة مع الحيوانات ومع اليهود، فهل يصلح أن يحدث ذلك مع الأطفال؟

ولا شك " فَإِنَّ خَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ". مسند أبي يعلى المَوصلي ح٢١١٩. والذي يخالف هديه فلا بركة في فعله.

فضلاً عن أن القسوة قد تأتي بردّ فعل عكسي فيكره الطفل الدراسة وحفظ القرآن والعلوم والآداب، أو يمتنع عن تحمل المسؤوليات أو يصاب بنوع من البلادة، ويصاب بنوع من العدوانية والكراهية، وينتظر الفرصة السانحة للفرار من جحيم البيت والوالدين، إلى أحضان وشباك الرفقة السيئة، ويكون مهيئاً لولوج خضم الجريمة وعيابات السجون.

إحدى الفتيات جاءها شاب ليخطبها من أبيها، وكان غير مناسب لها، فخوفوها من الحياة معه، فقالت: يعني ستكون حياتي معه جحيمًا؟ قالوا: نعم، قالت: أنا حياتي في بيت والدي جحيم أيضًا !! فانظروا عاقبة القسوة!!

ثانيا: التدليل الزائد والتمييع:

قال الشاعر الحكيم:

عليك بأوساط الأمور فإنها
طريق إلى نهج الصواب قويم
ولا تك فيها مُفْرِطًا أو مفرِطا
كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وكما أن الإفراط في التقويم والتربية مضرّ للأولاد؛ فإنه في المقابل لا يقل عنه ضررًا التفريط في التربية الناتج عن الحب الزائد للأولاد والعاطفة غير الرشيدة، والحنان المفرط، كل هذا يجعل الوالدين أحدهما أو كلاهما لا يتحملان أن يغضب الطفل أو يبكي، فيلبيان له كل مطالبه، حقاً كانت أو باطلاً، ويستسلمان له حتى يصل الأمر إلى أن يفعل الطفل ما يريد ويقضي ما هو قاض، ولا شك أن الطفل لا يعرف مصلحته، وبالتالي فلن يصل إلى ما تتحقق به مصلحته فيفسد، بل ربما يكون الوالدان سببًا لدخول ولدهما النار، لأنهما أفسداه بتلك التربية القاصرة.

نحن لا نقصد أن لا يكون الوالدان أصحاب رحمة بالأولاد، ولكن القصد كله التوسط ما بين القسوة والرخاوة، فلا تكن صلبًا فتتكسر،

ولا تكن لَيِّنًا فتُعصر، والأولاد هم الضحية.
قال تعالى: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (البقرة: ١٤٣).

ثالثًا: الجهل بحتمية ووجوب التربية:

إن تربية الأولاد والعناية بهم ليست فضولاً في العمل ولا نافلة من القول، وليست شيئًا عارضًا أو متروكًا لمن يهتم به أو لا يهتم، أو هي خاضعة لاجتهاد الأبوين يصيبون فيها أو ويخطئون، ولا هي متروكة للتجارب تنجح أو تفشل. إن التربية الصحيحة منهج مدروس، وعلم شرعي لتزكية النفوس، واقتداء بمن أرسله الملك القدوس.

قال ربنا عزوجل: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » . التحريم/٦.

قال مُجاهد: « قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا » (التحريم: ٦) قَالَ: " يَقُولُ: «اتَّقُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَوْصُوا أَهْلِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَأَدِّبُوهُمْ». تفسير مجاهد (ص: ٦٦٥).

وقال الطبري: يقول تعالى ذكره: «يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (قُوا أَنْفُسَكُمْ) يقول: علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تَعْلَمُونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله.

وقوله: (وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار». تفسير الطبري (٢٣/٤٩١).

وقال البغوي: «قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ، قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ بِالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاكُمُ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَأَهْلِيكُمْ نَارًا، يَعْنِي مُرُوهُمْ بِالْخَيْرِ وَانْهَوْهُمْ عَنِ الشَّرِّ، وَعَلِّمُوهُمْ وَأَدِّبُوهُمْ تَقُوهُمْ بِذَلِكَ نَارًا، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ. عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ: يَعْنِي خَزَنَةَ النَّارِ، غِلاظٌ: فَظَاظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، شِدادٌ: أَقْوِيَاءُ يَدْفَعُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِالدَّفْعَةِ الْوَاحِدَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا فِي النَّارِ وَهُمُ الزَّبَانِيَةُ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ فِيهِمُ الرَّحْمَةَ، لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ». (تفسير البغوي، ط. إحياء التراث: ٥/١٢٢).

وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) قال: علموهم، وأدبوهم. تفسير الطبري، ت شاكر (٢٣/٤٩١).

إن تربية الأبناء مسؤولية شاقة وأمانة كبيرة، ولن تبرأ ذمة إنسان كائنًا من كان إلا بأداء هذه الأمانة إلى أهلها، قال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا » (النساء: ٥٨)، وأهلها في هذا الموضوع هم أبناؤنا وفلذات أكبادنا.

وتربية الأبناء مسؤولية الأبوين أولاً وآخراً، قال تعالى: « يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ » (النساء: ١١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «إذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء".

جاء رجل إلى ابن المبارك يشكو إليه فساد ابنه، فقال: هل دعوت عليه بشيء؟ قال: نعم. قال: أنت أفسدته.

وكما أنه لا بد لكل علم أو عمل من قواعد يقوم عليها ومبادئ ينطلق منها، وبدون ذلك لا يمكن للعلم أن ينضبط ولا للعمل أن يستقيم؛ فتربية الأبناء علم وعمل لها قواعد تقوم عليها ومبادئ تنطلق منها، لو أخذ المربون بها لانطلقوا بوظيفتهم التربوية بكل سعادة دون ملل أو زلل.

وهذه المبادئ والقواعد كلما كان حظ المربي منها أوفر كان حظه من ثمار التربية أكبر، والقواعد تعني الطريق والمنهج، والإعداد يعني التهيئة بأفضل وجه، والتربية تعني التأديب والتنشئة على التحلي بمحاسن الأخلاق وجميل الطباع.

وتربية الأبناء عبادة، ومفهومها يعد من جنس الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، فإذا قامت على مبادئ الإسلام ومكارم الأخلاق والتحذير من الشر ومساوئ الأخلاق كانت من أجل العبادات وأفضل القربات؛ لقوله تعالى: « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ » (فصلت: ٣٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها»، وهي في حق عموم الناس من فروض الكفايات، فإنها من حق الأهل والأولاد من فروض الأعيان، وهم أولى بها من غيرهم، فكل من دعا أولاده ورباهم على الإيمان وخلق الإسلام فسيناله من أجر عملهم في الآخرة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، وفي الدنيا منهم برًا وإحساناً.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا حسن تربية أبنائنا، وأن يُنبتهم نباتًا حسنًا، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الصداق بالنعلين

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٩٨)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ولقد ساعد على انتشارها وجودها في كُتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب رد هذه القصة:

١- لقد أورد الدكتور محمود الطحان- عفا الله عنا وعنه- الحديث الذي جاءت به هذه القصة في كتابه «تيسير مصطلح الحديث» (ص٥٢) حديث عامر بن ربيعة في «إجازة الصداق بنعلين».

٢- جعل الدكتور حديث القصة مثالاً للحديث «الحسن لغيره»، وبهذا لم يقتصر الحديث باشتهاره على ألسنة القصاص والوعاظ، بل أصبح منتشرًا على ألسنة طلبة علم مصطلح الحديث، حيث اتخذه مثالاً لقاعدة من أصول علوم الحديث، حيث قال الدكتور في «المقدمة»:

«عندما كُلفت منذ سنوات بتدريس علم «مصطلح الحديث» في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وكان المقرر تدريس كتاب «علوم الحديث» لابن الصلاح، ثم قُرر بدله مختصره كتاب «التقريب» للنووي، وجدت مع الطلبة بعض الصعوبات في دراسة هذين الكتابين- على جلالتهما وغزارة فوائدهما- دراسة نظامية، من هذه الصعوبات التطويل في بعض الأبحاث، لا سيما في كتاب ابن الصلاح، ومنها الاختصار في البعض الآخر، لا سيما في كتاب النووي، فرأيت أن أضع بين أيدي الطلبة في كلية الشريعة كتابًا سهلاً في مصطلح الحديث وعلومه ييسر عليهم قواعد الفن ومصطلحاته، وسميته «تيسير مصطلح الحديث».

٣- انتشار الكتاب: قال الدكتور: «قد كُتب لهذا الكتاب القبول لدى طلبة العلم عامة، والمشتغلين بالحديث وعلومه خاصة، فقد نفدت منه من حين طبعه الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م إلى الآن خمس طبعات، لذا رأيت طبعه الطبعة السادسة لدى مكتبة دار التراث بالكويت، وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها من الطبعات بأمرين، هما الشَّكل، وتصحيح الأخطاء». اهـ.

قلتُ: مما أوردناه آنفًا يتبين أن الكتاب الذي أورد حديث القصة قد انتشر، ولو كان خاصًا بالدكتور وحده لتركناه، ولكن أصبح مقررًا على طلبة في جامعة يأتيها الطلاب من كل مكان.

٤- ومن الأسباب التي تقتضي الرد؛ أن هذا الحديث الذي جاءت به القصة والذي جعله الدكتور في كتابه هذا مثالاً للحديث «الحسن لغيره»، نجده قد حكم عليه الإمام أبو حاتم الرازي بأنه «حديث منكر». اهـ.

قلت: وهو الإمام الذي قال عنه الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/٥٦٧/٥٩٢): «أبو حاتم الرازي الإمام الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أحد الأعلام، ولد سنة خمس وتسعين ومائة». اهـ.

وسنبين بالتحقيق كيف حكم عليه الإمام أبو حاتم أنه «حديث منكر»، وفي أي مكان.

٥- ومن الأسباب أيضًا التي توجب علينا بيان حقيقة هذا الحديث الذي جاءت به القصة هو اشتهار هذا الحديث في كتب الفقه فقد أورده الإمام ابن قدامة في «المغني» (٣٧٤/٩، ٩٩/١٠- ط. هجر)، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ولم أر في تحقيقهما غير عزو الحديث لبعض كتب السنة دون بيان مرتبته من الصحة أو الضعف، وهذا ليس بتحقيق، ولكنه

تخريج فقط ساعد عليه كثرة الفهارس في هذه الأيام، وكذلك المكتبة الشاملة والحاسوب، فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث بهذا الصنيع صحيح، ولكن سنبين من التحقيق أنه حديث منكر.

٦- ومن الأسباب أيضًا التي توجب علينا بيان حقيقة هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة واتخذه الدكتور محمود الطحان مثالاً للحديث «الحسن لغيره» هو قوله في خاتمة المقدمة لكتابه «تيسير مصطلح الحديث» (ص٧): «فالرجاء ممن يطلع على زلة أو خطأ أن ينبهني عليه مشكورًا؛ لعلي أتداركه».

كل هذه الأسباب تقتضي منا تخريج وتحقيق هذه القصة.

ثانيًا: المتن:

رُوِيَ عن عامر بن ربيعة: أن امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرضيت من نفسك ومالك بنعلين». قالت: نعم، قال: «فأجازه». اهـ.

ثالثًا: التخريج:

الحديث الذي جاءت به هذه القصة:

١- أخرجه الإمام أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٤٦١/٢) (ح١٢٣٩) قال: حدثنا شعبة قال: أخبرني عاصم بن عبيد الله، قال: سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة، يحدث عن أبيه: أن امرأة من بني فزارة.. القصة.

٢- وأخرجه الإمام الترمذي في «السنن» (٤٢٠/٣) (ح١١١٣) قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، ومحمد بن جعفر قالوا: حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله به.

٣- وأخرجه الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢٢٧/٥) (١٣٨١/٤١٣) قال: حدثنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله به.

٤- وأخرجه الإمام أبو يعلى في «مسنده» (١٥١/١٣) (ح٧١٩٤) قال: حدثنا عبيد الله بن عمر الجشمي، حدثنا يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن عاصم بن عبيد الله به.

٥- وأخرجه الإمام البيهقي في «السنن» (١٣٨/٧) قال: أخبرنا أبو سهل محمد بن نصرويه بن أحمد المروزي، حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي حدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبيد الله البصري، حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله به.

٦- وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤٤٥/٣) (ح١٥٧١٤)، (٤٤٦/٣) (ح١٥٧٢٩) قال: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله به.

٧- وأخرجه الإمام ابن ماجه في «السنن» (٦٠٨/١) (ح١٨٨٨) قال: حدثنا أبو عمر الضرير وهناد بن السري قالا: حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم بن عبيد الله به.

رابعًا: التحقيق:

من هذا التخريج يتبين من جمع طرق حديث «المرأة التي أجاز النبي صلى الله عليه وسلم صداقها بنعلين، لم يروه عن عامر بن ربيعة إلا ابنه عبد الله ولم يروه عن عبد الله بن عامر إلا عاصم بن عبيد الله، وعاصم هو علة هذا الحديث.

١- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢٧/٢): «وكان سيئ الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ، فتُرك من أجل كثرة خطئه». اهـ.

٢- قاعدة: قال الحافظ العراقي في «شرح ألفيته» (ص٧): «من كثر الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك وإن كان عدلاً». اهـ.

٣- نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٠٥٦/٣٥٣/٢) عن الإمام الدارقطني قال: «عاصم بن عبيد الله يُترك وهو مغفَّل». اهـ.

ونقل عن الإمام ابن عيينة قال: «كان الأشياخ يتقون حديث عاصم بن عبيد الله». اهـ.

ثم أورد الإمام الذهبي هذا الحديث من مناكيره.

٤- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٨١): «عاصم بن عبيد الله العُمري: منكر الحديث».

قال محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «وكذلك قوله: منكر الحديث. فإنه يريد به الكذابين، ففي «الميزان» للذهبي (٥/١) نقل ابن القطان أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

٥- قلت: لذلك كما بينا آنفًا قال الإمام الدارقطني: «عاصم بن عبيد الله يترك وهو مغفل»، وقال الإمام

ابن عيينة: «كان الأشياخ يتقون عاصم بن عبيد الله». اهـ.

ونقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٤٢/٥) أن علي بن المديني قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي ينكر حديث عاصم بن عبيد أشد الإنكار. اهـ.

٦- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٤٨/٦): «سئل أبو زرعة عن عاصم بن عبيد الله فقال: عاصم منكر الحديث في الأصل وهو مضطرب الحديث». اهـ.

ثم قال: سألت أبي عن عاصم بن عبيد الله فقال: «منكر الحديث مضطرب الحديث». اهـ.

قلت: ولقد نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٥٤/٢) قول الإمامين أبي زرعة وأبي حاتم وأقرهما على قوليهما.

خامسًا: حكم الإمام الحافظ أبي حاتم على الحديث:

لقد طبَّق الإمام الحافظ أبو حاتم قوله في كتاب «الجرح والتعديل» (٣٤٨/٦) لابنه عندما سأله عن عاصم بن عبيد الله فقال: «منكر الحديث مضطرب الحديث» في الحكم على حديث «المرأة التي أجاز النبي صلى الله عليه وسلم صداقها بنعلين».

قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه «علل الحديث» (٤٢٤/١) (ح١٢٧٦): «سألت أبي عن عاصم بن عبيد الله فقال: منكر الحديث يقال إنه ليس له حديث يعتمد عليه، فسألته ما أنكروا عليه؟ قال: روى عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن رجلاً تزوج امرأة على نعلين فأجازه النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث منكر». اهـ.

سادسًا: الرد على الدكتور الطحان في جعل هذا الحديث المنكر مثالاً للحسن لغيره:

١- قال الدكتور الطحان في كتابه «تيسير مصطلح الحديث» (ص٥٢): «الحديث الحسن لغيره مثاله: ما رواه الترمذي وحسَّنه من طريق شعبة عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرضيت من نفسك ومالك بنعلين؟ قالت: نعم. فأجاز». اهـ.

قال الترمذي: «وفي الباب عن عمر وأبي هريرة وعائشة وأبي حدرد». اهـ. فعاصم ضعيف لسوء حفظه، وقد حسَّن له الترمذي هذا الحديث لمجيئه من غير وجه. اهـ.

٢- الدكتور الطحان- عفا الله عنا وعنه- بالبحث وجدناه قد نقل هذا الكلام حرفيًا في مثالية الحديث «الحسن لغيره» من «تدريب الراوي» (١٦٦/١، ١٦٧) للإمام السيوطي، وهذا النقل فيه نظر لأمرين:

الأول: عدم عزو الدكتور ما نقله للإمام السيوطي ولا لكتابه التدريب.

الثاني: لم يحقق ما نقله عن الإمام السيوطي في «التدريب».

سابعًا: تحقيق ما نقله الدكتور عن الإمام السيوطي:

١- قول الإمام السيوطي في «التدريب» (١٧٦/١): «ما رواه الترمذي وحسنه..» فيه نظر؛ لأن الإمام الترمذي صححه ولم يحسنه فقط، بل جمع له الصفتين حيث قال الترمذي في «السنن» (٤٢١/٣- شاكر) (ح١١١٣): «حديث عامر بن ربيعة حديث حسن صحيح». اهـ.

٢- قلت: وبهذا يتبين خطأ نقل الدكتور عن السيوطي من غير تحقيق لما نقله عن الترمذي، حيث نقلنا عن الترمذي قوله: «حديث عامر بن ربيعة حديث حسن صحيح» من الطبعة التي حققها الشيخ أحمد شاكر حيث قال في «المقدمة» (ص١١): «والذي اعتمدته من نسخ الكتاب المخطوطة والمطبوعة سبع نسخ- وكنت أقابل وأصحح نسختي الخاصة فصارت من أصح النسخ التي يعتمد عليها وفقنا الله سبحانه وتعالى إلى الخيرات». اهـ.

٣- ومما يبين خطأ قول السيوطي في «التدريب» (١٧٦/١): «رواه الترمذي وحسنه» قول الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام» عقب الحديث (١٠٦٩) حديث عامر بن ربيعة في الصداق بنعلين: «أخرجه الترمذي وصححه»، ثم بين نكارته فقال: «وخولف في ذلك». اهـ. ثم أورده مرة أخرى في «الفتح» (١١٩/٩) وقال: «حديث لا يثبت».

٤- وكذلك أورد الحافظ الزيلعي هذا الحديث في «نصب الراية» (٣٧٢/٣) وقال: «أخرجه الترمذي عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز نكاح امرأة على نعلين. ثم قال: قال الترمذي: حديث حسن صحيح. قال ابن الجوزي: ضعيف، لا يُحتج به. وقال ابن حبان: كان فاحش الخطأ فترك». اهـ.

٥- وكذلك أورد الحافظ المباركفوري حديث «المرأة التي أجاز النبي صلى الله عليه وسلم صداقها

بنعلين في «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (٥٧٥/٣) (ح١١١٣)، ثم قال: «وحديث عامر بن ربيعة حديث حسن صحيح». اهـ.

قال المباركفوري: قال الحافظ في بلوغ المرام- بعد أن حكى تصحيح الترمذي هذا- أنه خولف في ذلك... انتهى. وقال الحافظ الزيلعي في «نصب الراية»- بعد أن حكى تصحيح الترمذي له-: قال ابن الجوزي في «التحقيق: عاصم بن عبيد الله قال ابن معين: ضعيف، وقال ابن حبان: كان فاحش الخطأ فترك». اهـ.

٦- ولقد ضعَّف الألباني في «الإرواء» (٣٤٦/٦) (ح١٩٢٦) هذا الحديث، وبيَّن أيضًا علته عاصم بن عبيد الله، وقال: أجمع الأئمة المتقدمون كمالك وابن معين والبخاري على تضعيفه؛ وبيَّن أيضًا أن الترمذي قال: «حديث حسن صحيح». فتعقبه قائلاً: «وتصحيح الترمذي له من تساهله الذي عرفه به».

ثم قال: «وقد أنكر الحديث على عاصم جماعة من الأئمة منهم أبو حاتم الرازي». اهـ.

قلت: كما بيناه بالتفصيل آنفًا.

أوهام تحسين الحديث لغيره

قال الحافظ السيوطي في «التدريب» (١٧٧/١): «قال الترمذي: وفي الباب عن عمر، وأبي هريرة، وعائشة، وأبي حدرد». ثم قال السيوطي: «فعاصم ضعيف لسوء حفظه، وقد حسن له الترمذي هذا الحديث لمجيئه من غير وجه». اهـ.

قلت: وقد نقله الدكتور الطحان أيضًا من غير تحقيق وفيه نظر لأمرين:

الأول: قول السيوطي: قال الترمذي: «وفي الباب عن عمر وأبي هريرة وعائشة وأبي حدرد». اهـ.

قلت: هذا قول مبتور؛ لأن الترمذي قال: «وفي الباب عن عمر، وأبي هريرة، وسهل بن سعد، وأبي سعيد، وأنس، وعائشة وجابر، وأبي حدرد الأسلمي». اهـ.

الثاني: قول السيوطي: فعاصم ضعيف لسوء حفظه، وقد حسَّن له الترمذي هذا الحديث لمجيئه من غير وجه. اهـ.

قلت: هذا القول فيه نظر؛ لأمرين أيضًا:

١- الظن بأن قول الترمذي: «وفي الباب» أنها طرق لحديث المرأة التي أجاز النبي صلى الله عليه وسلم صداقها بنعلين، وهذا ما ظنَّه السيوطي حيث قال بعقب قول الترمذي: وفي الباب: وقد حسن له الترمذي هذا الحديث لمجيئه من غير وجه. اهـ.

قلت: وحتى لا يقع الكثير في قول الترمذي- عقب الحديث-: «وفي الباب» فيظن أنها شواهد.

إن معنى قول الترمذي: «وفي الباب» بيَّنه محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر في «مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي» (٦٦/١) فقال: «بعد أن يروي الترمذي حديث الباب يذكر أسماء الصحابة الذين رويت عنهم أحاديث فيه، سواء أكانت بمعنى الحديث الذي رواه، أم بمعنى آخر، أم بما يخالفه، أم بإشارة إليه، ولو من بعيد، وهذا أصعب ما في الكتاب على من يريد شرحه- وخاصة في هذه العصور- وقد عدمت بلاد الإسلام نبوغ حفاظ للحديث الذين كانوا مفاخر العصور السالفة فمن حاول استيفاء هذا وتخريج كل حديث أشار إليه الترمذي أعجزه وفاته الكثير..». اهـ.

ثم قال الشيخ شاكر: «ورأيت في ترجمة الحافظ ابن حجر أنه ألف كتابًا سماه: اللبأب في شرح قول الترمذي وفي الباب»، ولم أره ولم أعلمه موجودًا في مكتبة من المكتبات.

قلت: باستقراء أحاديث الصحابة الذين ذكرهم الترمذي في قوله: «وفي الباب» أي باب «ما جاء في المهور»، ثم ذكر ثمانية من الصحابة فلم أجد شاهدًا ولا متابعًا لحديث عامر بن ربيعة في «جواز الصداق بنعلين»، والحديث كما بينا آنفًا أنه غريب لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا عامر بن ربيعة ولم يروه عن عامر بن ربيعة إلا ابنه عبد الله ولم يروه عن عبد الله إلا عاصم بن عبيد الله.

٢- وعاصم بن عبيد الله لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد؛ لشدة ضعفه فهو كثير الوهم فاحش الخطأ متروك الحديث، مغفل منكر الحديث، لا تحل الرواية عنه كما بينا آنفًا.

٣- والحديث حُكم عليه بأنه منكر كما بينا آنفًا، والشاذ والمنكر لا يصلح أن تتقوى بهما رواية، وإن تعدد؛ كما تقتضيه أصول علوم الحديث.

وبهذا يتبين أن الحديث الذي جاءت به القصة حديث منكر والقصة واهية، فالحديث مثال للحديث المنكر كما حكم عليه أئمة هذه الصناعة، ولا يصلح أن يكون مثالاً للحديث الحسن لغيره.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

(صفات أفعاله تعالى) بين نفي الأشاعرة.. وإثبات أهل السنة والجماعة

الحلقة (٣٠)

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فكما أشرنا آنفا، فإن أهل السنة والجماعة دون الأشاعرة؛ على أن صفات الخالق تنقسم إلى (صفات ذات) و(صفات فعل)، وعلى إثباتها جميعا، وحجتهم في ذلك: تضافر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية غير المتعارضة مع العقل، ودلالتها الصريحة على كل.

١- أقسام الصفات على عمومها وأقسام أفعاله بخاصة لدى سلف هذه الأمة:

فصفات ذاته: هي التي لا تنفك عنه، بل هي قديمة لازمة له أزلاً وأبداً لا تفارق ذاته، وذلك كالحياة والعلم والقدرة والقوة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والعلو والعزة والحكمة والجلال، ونحو ذلك مما يعرف بـ (الصفات الذاتية) أو التي تدرك معانيها بالعقل على نحو ما تدرك بالسمع.. وكاليد والوجه والقدم والعين والأصبع وغير ذلك مما يعرف بـ (الصفات الخبرية) ويُدَّعى أنها مدركة بالسمع المجرد فقط وليست من المعاني المعقولة، والحق أنها ثابتة هي الأخرى بقرائن العقل على غرار سابقتها كما أفضنا طوال الحلقات الماضية.

وأما صفات أفعاله: فهي التي تتعلق بمشيئته وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها ولذا تسمى (اختيارية)، مثل الاستواء والنزول والمجيء للفصل بين العباد، والضحك والفرح بتوبة التائب، والغضب على الكافرين والرضا للمؤمنين وغير ذلك مما يتعلق بفعله تعالى ومشيئته، فتلك أمور ثابتة لله في كل وقت وآن، فإنه لم يزل ولا يزال فعّالاً لما يريد، بحيث لا يجوز خلوه من تلك الأفعال ولا مُعطلاً عنها بوقت من الأوقات، كونها دالة على مدى حكمته وطلاقة قدرته وتكوين وإيجاد ما سبقت به إرادته، فهي نظير سابقتها: صفات كمال، والخلو عن الكمال نقص لا يجوز على الله، وبذا يُعلم أنه لم يزل يفعل الأشياء ويُوجدها شيئا بعد شيء، وأن جنس فعله قديمُ النوع حادث الآحاد، وتلك هي عبارة أهل السنة قاطبة على ما سيأتي بيانه.

على أن أفعاله تعالى منها: ما هو (لازم) له قائم به، من نحو: الاستواء والمجيء والنزول، ومنها: (ما تتعدى إلى مفعول)، وذلك من نحو الخلق والرزق والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع ونحو ذلك ممن يتعدى إلى سواه.. كما أن من صفاته ما يأتي (صفة ذات وصفة فعل) معاً، وذلك من نحو: صفة الكلام والخلق والرحمة.. ومذهب السلف وتابعيهم بإحسان، هو: إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات الذاتية والفعلية بلا تحريف ولا تعطيل وبلا تشبيه ولا تمثيل.

٢- منشأ الخطأ لدى الأشاعرة وكل من نفى صفات أفعاله تعالى، والرد على شبهاتهم:

وقد جاء إثبات أهل السنة لصفات الأفعال رداً على المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة، فإنهم قالوا: إنه تعالى صار قادراً على (الفعل والكلام) بعد أن لم يكن قادراً عليهما، لأن لازم قولهم هذا: أن يكون الله ناقصاً في فترة ثم حدثت له الصفات وكمُل بها، والحق: أنه تعالى ليس قبله شيء ومن ثمّ فإن صفاته أزلية، فكما أنه أوّل بلا بداية فكذلك صفاته، فإنها تابعة له

فهي أولية بأوليته..
وأيضاً فإنه خلق الخلق لتحقيق أسمائه وصفاته، فهو خالق قبل الخلق، وبخلقه الخلق حقق صفة الخالق، وهكذا إلى آخر الأسماء والصفات، فهو لم يزدد بهذه الأفعال شيئاً، وكما أنه بصفاته قديم أزلي فإنه لا يزال عليها أبديًا لا تتغير هذه الصفات أبدًا ولا تتبدل، وقول المعتزلة: (إن إثبات الصفات وكذا الأسماء مستلزم لتعدد الآلهة أو تعدد القدماء وبذا تكون الصفات شريكة له في أوليته)، يَردُ عليه: أن الصفات ليست شيئاً مستقلاً غير الموصوف في الخارج، وإنما هي معانٍ قائمة بالموصوف، فإنك إذا قلت- ولله المثل الأعلى-: (فلان سميع بصير متكلم يأتي ويجئ)، فلا يعني هذا بحال أنه صار عدداً من الأشخاص.
كما جاء إثباتهم إياها ردًا على الكلابية ومتأخري الأشاعرة ومن وافقهما، فإنهم بعد أن فرقوا بين صفات الفعل وصفة الكلام، قالوا: إن (الفعل) صار ممكناً له تعالى بعد أن كان ممتنعاً منه، وأما (الكلام) فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شيء واحد لازم لذاته، ومن هنا جاء إثباتهم صفة الكلام له سبحانه دون سائر صفات الأفعال وعنوا به (الكلام النفسي)، وسيأتي تحفظ أهل السنة على كلّ هذا ومدى مخالفته لمعتقد أهل السنة والجماعة.. وفي إطار تبرير الأشاعرة لما جنحوا إليه، جاء تقسيمهم الصفات إلى أربعة أقسام:
١- صفات معاني، وهي: (القدرة والإرادة والعلم والحياة السمع والبصر والكلام).
٢- الصفات المعنوية، وهي متعلقات صفات المعاني.
٣- الصفات السلبية وهي: (القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية).
٤- الصفة النفسية، وهي (الوجود).
ويُعرِّف الأشاعرة صفات المعاني بأنها: (ما دل على معنى وجودي قائم بالذات).. ويقسمونها بحسب تعلقها، إلى:
١- ما يتعلق بالممكنات، وهما صفتا: (القدرة) وتعلقها بها تعلق إيجاد وإعدام، و(الإرادة) وتعلقها تعلق تخصيص.
٢- ما يتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات، وهما صفتا: (العلم والكلام).
٣- ما يتعلق بالموجودات، وهما صفتا: (السمع والبصر).
٤- ما لا يتعلق بشيء، وهي صفة (الحياة).
ومعنى التعلق لديهم هو: (طلب صفات المعاني أمراً زائداً على قيامها بالذات، يصلح لها).. لذا فهم يقولون: إن المتجدد هو نسبةٌ وإضافةٌ بين العلم والمعلوم فقط وتلك نسبة عدمية، أو هو علمٌ بكون الشيء ووجوده، وهذا العلم غير العلم بأنه سيكون، و"يقولون: هو متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة، ولا تكون بمشيئته؛ فأما ما يكون بمشيئته؛ فإنه حادث والرب تعالى لا تقوم به الحوادث، ويسمون الصفات الاختيارية بمسألة (حلول الحوادث)، فإنه تعالى إذا كلم موسى بمشيئته وقدرته، وناداه حين أتاه بقدرته وبمشيئته، كان ذلك النداء والكلام حادثاً، ولو اتصف الرب به لقامت به الحوادث، ولو قامت به الحوادث لم يخل منها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث"إ. هـ من مجموع الفتاوى ٢٢٠/٦، وينظر ٤٩٦/٨.
وبناء على ما سبق التزم المتكلمون نفي صفات الله الفعلية والاختيارية، وترتب على نفيهم هذا: إنكار أو تأويل كل صفة يُفهم منها التجدد أو الاستمرارية لله، وفراراً من ذلك، قال الأشاعرة بالتعلقات، وقال الماتريدية بالتكوين والخلاف بينهم لفظي، فجميعهم على أن ثمة فرقاً بين قيام الصفة بالله منذ الأزل وبين قيامها به تعالى فيما بعد، وعلى أن إضافتها إلى الله ليست إضافة حقيقية وإنما هي إضافة نسبة وتعلق أو تكوين..
وقد قسم الأشاعرة التعلقات إلى: (صلوحي قديم) و(تنجيزي حادث)، ويعنون بالأول: قيام الصفة بالله منذ الأزل، وبالثاني: صلاحية قيامها به بالفعل، والتعلق التنجيزي عندهم أمر إضافي تعلُّقي أي ليس وجودياً بل هو عدمي غير قابل للتجدد، وقد عجزوا عن توضيح مسألة التعلقات حتى قال القرطبي: "إن الخوض في تعلقات الصفات واختصاصاتها من تدقيقات الكلام، وإن العجز عن إدراك ما خاضوا فيه، غير مضر في الاعتقاد".
والذي ينبغي أن يُتنبه إليه هنا، هو: أن أهل السنة تميزوا عن الأشاعرة بقولهم: إن التعلق أو الارتباط بين الفعل والمفعول، تعلقٌ وجودي وليس

عدمياً كما ادعى الأشاعرة.

وفي توضيح ذلك يقول شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى ٦/٢٢٠: "الكلابية يقولون في جميع هذا الباب المتجدد، هو: تعلق بين الأمر والمأمور، وبين الإرادة والمراد، وبين السمع والبصر والمسموع والمرئي، فيقال لهم: هذا التعلق، إما أن يكون وجودًا وإما أن يكون عدماً، فإن كان عدماً فلم يتجدد شيء فإن العدم لا شيء، وإن كان وجودًا بطل قولهم، وأيضا فحدوث تعلق هو نسبة وإضافة من غير حدوث ما يوجب ذلك؛ ممتنع، فلا يحدث نسبة وإضافة إلا بحدوث أمر وجودي يقتضي ذلك" وهذا هو.

وواضح أن منشأ هذه التصورات عن نفي صفات الأفعال في أذهان متكلمي الأشاعرة وفقاً للمعتزلة والجهمية والشيعة، هو أن المتكلمين تأثروا في مسألة نفي صفاته تعالى الفعلية، بقول معاصريهم من فلاسفة المسلمين الذين تأثروا بدورهم بأهل الأهواء والأمم المعاصرة لهم في ذلك الوقت، كالسمنية والمجوس والصابئة واليهود والنصارى، وتلك الأمم كلها تنظر في تصورها إلى الله على أن وجوده وجودٌ ذهني أو عقلي، أي: ليس لله ذات تقبل الاتصاف بالصفات، فهذه فكرة الفلاسفة اليونانيين ومن جاء بعدهم، وقد انبنت عليها كثير من الفلسفات والتحريفات في الأديان، فالذين جادلوا أولئك لم تكن إحاطتهم بالعقيدة والسنة كافية، وجُرْأتهم على الجدل في ذات الله وصفاته، جعلتهم يسلمون لبعض أوهام تلك الأمم، فحينما تصوروا أن وجود الله وجودٌ ذهني، لم يتواءم هذا التصور عندهم مع الصفات التي ثبتت لله، فإذا قيل لهم مثلاً: إن الله مستو على عرشه، بدليل قوله: (الرحمن على العرش استوى.. طه/٥)؛ قالوا: (كيف يستوي ووجوده مجرد تصور كلي أو عقلي ذهني وليس وجودًا فعليًا حقيقيًا؟!؛ إذاً فالاستواء له معنى آخر)، ثم سحبوا ذلك على بقية الصفات، حتى إن بعضهم لا يقر إلا بصفة (الوجود) لله.. ورد ذلك باختصار: أنه لا يتصور أن يكون وجوده سبحانه في الأذهان دون أن يكون لذلك وجودٌ فعليٌ حقيقي، والوجود الفعلي الحقيقي لا بد من أن تلزم منه صفات أخرى لهذا الموجود، فإن كان الموجود هو الخالق فلا بد من أن يتصف بالصفات اللازمة، ومنها: أن يكون عالماً قديراً سميعاً بصيراً فعالاً لما يريد، إلى آخر ذلك من اللوازم التي تلزم الوجود الكامل، وإن كان هذا الموجود هو المخلوق، فله صفاته التي تخصه.

٣- تقرير مذهب أهل السنة في توحيد الله في صفاته الفعلية، وأدلتهم العقلية والنقلية على إثباتها:

وفي بيان وخلاصة ما أثير حول نفي الأشاعرة وسواهم لصفات الأفعال وردِّ أهل السنة عليهم، يقول ابن أبي العز في شرحه لقول الإمام الطحاوي (ما زال سبحانه بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد- بكونهم- شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً)، يقول: "إن الله لم يزل متصفًا بصفات الكمال: (صفات الذات وصفات الفعل)، ولا يجوز أن يُعتقد أن الله وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها، لأن صفاته صفات كمال وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده.. ولا يَرد على هذا: تعلق (صفات الفعل والصفات الاختيارية) بما هو حادث، كالخلق والتصوير، والإماتة والإحياء، والقبض والبسط والطي، والاستواء والإتيان والمجيء والنزول، والغضب والرضا، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، فإن ذلك ثابت بالنقل والمشاهدة وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته، ولا ندخل في ذلك متأوّلين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا كما قال الإمام مالك لما سُئل عن الاستواء فقال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول)، وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: (إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله)، لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلماً بالأمس لا يقال: (إنه حدث له الكلام)، ولو كان غير متكلم لآفة كالصِغر والخرس ثم تكلم يقال: (حدث له الكلام).. فالساكت لغير آفة يسمى (متكلماً)، بمعنى: أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمَّى (متكلماً) بالفعل، وكذلك

الكاتب في حال الكتابة هو (كاتب) بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتباً في حال عدم مباشرته للكتابة"أ.هـ بتصرف.

وفي إزالة ما أثاره متكلمة الأشاعرة من شبهات تأثراً بغيرهم، يقول ابن أبي العز عن قابلية تعلق صفاته تعالى الفعلية بالحوادث: "وحلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي"، وأبدي هنا كراهتي لكلمة (حلول)، فهي فضلاً عن أنها لفظة مبتدعة، لم يسقها أهل السنة إلا مجاراة للأشاعرة، لرد ما عطلوه من صفات الاختيار وهي بعدُ صفات كمال، يقول: "وحلول الحوادث المنفي في علم الكلام المذموم، لم يَرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال: فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح.. وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية كأن يُعتقد أنه تعالى لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته، فهذا نفي باطل، وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فيُسلِّم السني للمتكلم ذلك، على ظنٍّ أنه نفى عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل.. وهو غير لازم له، وإنما أُتي السني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر لم ينقطع معه"، أي: لم يسلم ولعلم أن الأمر على التفصيل الذي ذكرنا.

وهنا يشير ابن أبي العز إلى أن ما قيل من تفصيل في مقولة الأشاعرة عن (مسألة الحلول) التي أفضى إجمالها إلى نفي الصفات الفعلية، يقال نحوه في:

أ-(مسألة: الصفة، هل هي زائدة على ذاته تعالى أم لا؟)، (فلا يقال هي هو) لئلا يشعر بأنها عين الذات وأنها من ثم غير موصوفة، (ولا هي غيره) لئلا يشعر بمباينتها له ومن ثم بتعدد القدماء، إذ ليس في الخارج ذات غير موصوفة، بل هذا محال، ولو لم يكن له تعالى إلا صفة الوجود كونها لا تنفك عن الموجود، لكان ذلك كافياً في إثبات سائر الصفات له تعالى، ذلك أنه هو الموصوف بالذات الموصوفة بصفاته اللازمة، ولهذا قال الشيخ: (لا زال بصفاته) ولم يقل: لا زال وصفاته: لأن العطف يؤذن بالمغايرة، وكذلك قال الإمام أحمد في مناظرته الجهمية: (لا نقول: الله وعلمه، الله وقدرته، الله ونوره، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره هو إله واحد)، فإذا قلتَ: (أعوذ بالله) فقد عُذتَ بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه، وإذا قلت: (أعوذ بعزة الله)، فقد عذت بصفة من صفات الله ولم تَستعذ بغير الله، فعُلم أن الذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه، وإن كان الذهن قد يفرض ذاتاً مجردة عن الصفات كما يفرض المحال، وقد قال عليه السلام: (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)، وقال: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) وهو لا يستعيذ بغير الله.

ب- كما يقال في قولهم: (الاسم عين المسمى أو غيره؟)، إذ فيه هو الآخر إجمال، تفصيله: أن الاسم يراد به (المسمى) تارة، ويراد به (اللفظ الدال عليه) تارة؛ فإذا قلت: (قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده) ونحو ذلك، فالمراد به: (المسمى نفسه)، وإذا قلت: (الرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله) ونحو ذلك فـ (الاسم) هاهنا للمسمى ولا يقال غيره، لما في لفظ (الغير) من إجمال، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم: فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسمائه تعالى..

ثم أفاد ابن أبي العز إبان شرح قول الطحاوي: (ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه.. إلخ)، ما سبق أن فصلنا فيه القول من أن فيه رداً على من قال من المعتزلة ومن وافقهم: (إنه تعالى صار قادرًا على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادرًا عليه)، وعلى ابن كُلاَّب والأشاعرة قولهم: (إن الفعل صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً منه)، وذلك بعد أن أخرجوا (الكلام) من مشيئته تعالى وقدرته باعتباره شيء واحد لازم لذاته..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث بمشيئته الله عن أدلة الشرع على صفاته الاختيارية والحمد لله رب العالمين.

المسلم بين إرادة التغيير وإدارته

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الإدارة والتنمية البشرية المساعد
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكرنا في المقال الأول: أننا بحاجة للتغيير والتطوير والتنمية، نعم نحن بحاجة لتغيير العادات، وتطوير الآليات، وتنمية المهارات، فكانت أولى التوصيات أن نضع مقياساً ومعياراً لأفعالنا وأقوالنا لكي نحدد الدرجة التي نحن عليها، ومدى قبولنا عند الناس، ومدى تأثيرنا فيهم، والوجهة التي نريدها؛ فما يمكن قياسه يمكن تقييمه وتقويمه.

وفي المقال الثاني: وضحنا ضرورة العمل على تقوية الثقة بالله، وحسن التوكل عليه. وذكرنا لك بعض طرق استنهاض الثقة بالنفس والعمل على تقويتها.

وفي المقال الثالث: كتبت لك بعض الشعارات التي قد تساعدك على اكتساب الثقة بالنفس، وكيفية استنهاضها وتقويتها، وقد وعدتك بأننا سوف نتحدث عن التفكير ومهاراته مع ضرورة الوضع في الاعتبار والاعتقاد بأن التفكير السديد المنتج مهارة يُكسبها التعليم والتعلم، وعادة يَصنعها التمرين والتدرب، والإيمان بخبر القرآن في هذه المعادلة: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» (سورة الرعد: ١١).

الوحي يحث على التفكير:

ثمة نصوص قرآنية كثيرة تحث على التفكير والتفكر، وتُعلي من شأن العقل والعقلاء؛ فلقد وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم (٢٠) مرة بصيغ مختلفة في معرض مدح أهلها، منها:

قول الله تعالى: «كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» (سورة البقرة: ٢١٩) «أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم» (سورة الروم: ٨) «فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (سورة الأعراف: ١٧٦).

كما جاء في الكتاب العزيز صيغ أخرى تؤكد على أهمية التفكير؛ كما في قوله - عز وجل -: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (سورة آل عمران: ١٩٠، ١٩١)، وقوله: «كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (سورة البقرة: ٢٤٢)، وقوله: «انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ» (سورة الأنعام: ٦٥)، وقوله: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» (سورة البقرة: ٢٦٩).

- عرَّف أهل العلم التفكير فقالوا: إن التفكير هو: العملية الذهنية أو النشاط الفكري الذي يحدث في عقل الإنسان. وعرَّفه آخرون بأنه عملية واعية يقوم بها الفرد عن قصد وإدراك، ولا تتم بمعزل عن البيئة المحيطة؛ أي أن

التفكير يتأثر بالسياق الاجتماعي والثقافي، وهو التقصي المدروس للخبرة من أجل غرض ما". قد يكون ذلك الغرض هو الفهم، أو اتخاذ القرار، أو التخطيط، أو حل المشكلات، أو الحكم على الأشياء، أو القيام بعمل ما، أو الإحساس بالبهجة، أو الخيال الجامح، أو الانغماس في أحلام اليقظة، وهلم جرا.

التفكير أهم المهارات التي يجب أن نتحدث فيها معاً، لا سيما بعد أن استعدت ثقتك بنفسك- بفضل الله- كما أنصحك بقراءة كتاب: التفكير فريضة إسلامية للمفكر الكبير عباس محمود العقاد رحمه الله.

التفكير فطري مع أولي الألباب، أما البلهاء فلا يفكرون، بل يتركون غيرهم يفكرون لهم ويكونون أداة في أيدي الآخرين، ينالون بهم سعاداتهم ومآربهم، أو شقاوتهم وفشلهم، فالكل يفكر باختلاف ثقافته واختلاف منطلقه ودينه وخلقه.

لماذا نفكر؟

١- طلباً للفهم والاستيعاب: مع ضرورة التحلي بآداب طالب العلم في السؤال والاستفسار، بحيث يكون الأسلوب أسلوبَ متعلم، وليس أسلوبَ متعنت.

٢- دعماً لاتخاذ القرارات: منها: المشورة الشرعية دون دكتاتورية في القرار، مع ضرورة توضيح أسباب القرار للمخالفين حتى لا نوغر صدورهم.

٣- للتخطيط في المستقبل: مع ضرورة وضع الآليات المساعدة لهذا مع مراعاة أحوال من حولنا.

٤- لحل المشكلات والمعضلات العلمية: وهذا ما نرجوه من طلاب العلم.. التفكر الدائم، مع تحليل شامل لكل معضلة وتدوينها، وسؤال أهل العلم عما استشكل مع عرض النتائج الأولية لعلماء يختصرون لنا الأوقات.

٥- للحكم على الأشياء: مع مراعاة أن ما ينفعك قد لا ينفع الآخرين، وما يضرك قد لا يضر الآخرين، فلا تعميم في الحكم على الأشياء إلا ما ثبت بدليل.

٦- طلباً للإحساس بالبهجة والسعادة: وهذا ممدوح مندوب إليه في الشريعة، وتسليط الضوء على إيجابيات الحياة أفضل من الحديث عن المشكلات التي تنغص حياتنا، فكلما فكرت في الأمور التي تسعدك شرح الله صدرك.

٧- للانغماس في أحلام اليقظة: فهنا يطيب لنا أن نفرق بين الحلم والهدف، فلا يمنع أن نضع لأنفسنا أهدافاً محمودة كامتداد للطموحات، أما الأحلام فهذا ما تصبو إليه النفس، وهو من أول أبواب التطوير والإبداع فلنحلم وندوّن أحلامنا ونجتهد لتحقيقها.

ولو تأملت التفكير عموماً ستجده مقسماً إلى أنواع كثيرة نذكر منها:

التفكير الفطري، ويصح أن يُسمى الطبيعي أو التلقائي.

والتفكير العاطفي (ويختص بالعاطفة القلبية مضبوطة بالشرع).

والتفكير المنطقي (ويختص بالعقل وما يصح وما لا يصح).

التفكير الرياضي (ويختص بالمعادلات والعمليات الحسابية).

التفكير الناقد (ويختص بالنقد البناء لتعديل فكرة أو توجيه مسار).

التفكير العلمي (ويختص بالعلوم والثوابت العلمية).

التفكير الابتكاري (ويختص بالتطوير وما يدور بالذهن من تجديد واختراع).

وإليك بعض المهارات التي اقتنصتُها من الأستاذ علي الحمادي-حفظه الله- فمن الجميل أن تتبعها:

١- الملاحظة:

هي مهارة سريعة لجمع البيانات ومعالجتها، واستخلاص المعلومات سريعاً، وتعتمد الملاحظة على حاسة واحدة، أو أكثر من الحواس الخمس، وهي عملية معقدة تتضمن المشاهدة والمراقبة والإدراك.

٢- التصنيف:

ويقصد به تصنيف المعلومات وتنظيمها وتقويمها، وهي مهارة أساسية تجعلنا نُخضع (نصنف) الأشياء وفق نظام معين في أذهاننا، كتصنيفنا أشياء معينة حسب اللون، أو الحجم، أو الشكل، أو قيامنا بالترتيب تصاعدياً أو تنازلياً.

٣- المقارنة:

ونَعني بها المقارنة بين الأشياء، والأفكار، والأحداث وفق أوجه التشابه، وأوجه الاختلاف، مع البحث عن نقاط الاختلاف والاتفاق الموجودة في طرفي المقارنة.

٤- التفسير:

هو عملية عقلية غرضها إضفاء معنى على خبراتنا الحياتية، واستخلاص معانٍ أكثر؛ حتى نزداد فَهْماً للموضوع، وتتضح صورتَه أكثر.

٥- تنظيم المعلومات:

وبها يتم مساعدة النفس والغير على فهم الواقع، وهذه المهارة تستلزم جهداً في البحث عن المعلومة، وتجميعها، وتنظيمها؛ حتى يتبلور الموضوع وتنجلي حقائقه.

٦- التلخيص:

هو تلخيص تام واف لما قرأناه وفهمناه ووعيناه؛ وذلك لربط النقاط البارزة بعضها ببعض؛ ومن هنا تبدأ صياغة فكرة الموضوع بوضع أفكار رئيسية تجمع شتاته.

٧- التطبيق:

هو تطبيق تام فعلي لما تم استخلاصه لك وانجلى أمامك، وفق النظريات والثوابت المعلومة والمعروفة.

وبهذا نكون قد وضعنا أيدينا على أولى المهارات التي يجب أن يتعلمها الفرد في حياته، ألا وهي مهارات التفكير. وقد تكون-قارئي العزيز- ممن يمارس مهارات التفكير، لكن لا شك أن النتيجة ستكون مختلفة معك حين تمارس مهارات التفكير بطريقة علمية؛ مما سُيجدي نفعاً كبيراً إن شاء الله.

كما أن من روائع ما جاء في مهارات التفكير أن تتوقف عن التفكير أحياناً لكي تعطي لنفسك قسطاً من الراحة ليرجع كل عضو إلى مكانه، ويستقر العقل فلا حملقة للعينين، ولا تحريك للسان... عليك أن تأخذ راحة ذهنية بعد كل يوم من التفكير، ينبغي أن تتدرب على هذا؛ طلبًا للراحة العقلية، ليتجدد نشاطك الذهني من جديد، وفي هذا الصدد بوسعك اتباع الآتي:

١- أغلق الهاتف، والتلفزيون، ثم اجلس في غرفة هادئة حتى لا يزعجك أي شيء لمدة تتراوح بين ٥ إلى ١٠ دقائق.

٢- اجلس مستريحاً في مقعد ذي ظهر مستقيم، مع وضع قدميك على الأرض في وضع مستقيم، ويفضل أن تضع قدميك مباشرة على الأرض حتى تخرج الطاقة السلبية من جسمك.

٣- لا تجلس في وضع مائل، ولا تتكئ على أحد جنبيك، بل اجلس في وضع منتصب ومستقيم، ولكن بارتياح واسترخاء.

٤- ضع يديك على فخذيك بحيث يكون ظاهر اليدين إلى الأعلى.

٥- أغمض عينيك، ولكن بشرط أن تلاحظ تنفسك، تتبع ارتفاع وانخفاض النفَس الذي تُخرجه في حالتي الشهيق والزفير.

٦- حاول أن ترسم ابتسامة عريضة على وجهك في حالة إخراج النفَس، وتفقد جميع جسدك، بينما أنت جالس على المقعد.

٧- امنح جسمك فرصة للاسترخاء التدريجي، من الرأس إلى القدمين.

٨- بينما تتنفس في حالة الشهيق، تخيل أن رأسك يمتلئ بالطاقة التي يعود إليه نشاطها التدريجي، وأثناء التنفس في حالة الزفير، تخيل أنك تخرج مع التنفس كل الضغوط والأفكار، ومصادر القلق والإزعاج من رأسك.

٩- قم بإعادة التمرين مع ملاحظة الرقبة، والصدر، والذراعين، والساقين، والقدمين.

١٠- الآن، بعد أن يكون جسدك قد نال قسطاً من الراحة، أعط عقلك أيضاً كفْلاً من الراحة. قم بالعد من ١ إلى ١٠ من دون فَقدان للتسلسل أثناء عملية الزفير. قم بذلك ثانيةً لمدة ٥-١٠ دقائق.

بهذه الفترة المنشودة لراحة العقل انتهى كلامنا عن التفكير ومهاراته على أمل اللقاء- إن شاء الله- الشهر المقبل لنتجول في مقالة جديدة عن الإبداع والتطوير كتدرج طبيعي، بعد معرفة الحالة المهارية التي عليها الفرد وما ينبغي أن يكون عليه.

هذا، وصَلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمثال في القرآن الكريم

مثل الجنة

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن الكريم، وهو في قوله تعالى: «مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ» (الرعد:٣٥).

التفسير الإجمالي:

ذكر الله تعالى في الآية السابقة عقاب الكفار وثواب الأبرار، فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك: «لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا» (الرعد:٣٤) أي: بأيدي المؤمنين قتلاً وأسرًا، «وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ» (الرعد:٣٤) أي: المدَّخر مع هذا الخزي في الدنيا «أشقّ» أي: من هذا بكثير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين: «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة». (صحيح). وهو كما قال صلى الله عليه وسلم- فإن عذاب الدنيا له انقضاءٌ، وذاك دائم أبدًا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفًا، كما قال تعالى: «فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ» (الفجر:٢٥-٢٦).

ولهذا قرن هذا بهذا، فقال: «مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ» (الرعد:٣٥) أي: صفتها ونعتها، «تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ» (الرعد:٣٥) أي: سارحةٌ في أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها يفجرونها تفجيرًا، أي: يصرفونها كيف شاؤوا وأين شاؤوا، وقوله: «أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا» (الرعد:٣٥) أي: فيها الفواكه والمطاعم والمشارب لا انقطاع ولا فناء، قوله: «تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا» (الرعد:٣٥) أي: تلك عاقبة الذين اتقوا الله فاجتنبوا معاصيه وأدوا فرائضه، «وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ» (الرعد:٣٥)، أي: عاقبة الكافرين بالله النار وبئس القرار، يعني مصير المؤمنين الجنة، ومصير الكفار النار. (مستفاد من صحيح تفسير ابن كثير (٥١٠/٢)، وتفسير الطبري (٤٧٢/١٦)).

تفسير المفردات:

المثل: هنا الصفة العجيبة، قيل: هو حقيقة من معاني المثل، كقوله تعالى: «وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ» (النحل:٦٠)، وقيل: هو مستعار من المثل الذي هو الشبيه في حالة عجيبة أطلق على الحالة العجيبة غير الشبيهة؛ لأنها جديرة بالتشبيه بها. (قاله ابن عاشور ١٥٥/٧).

وقال ابن عطية (٢٠٨/٥): قوله تعالى: «مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ» الآية (الرعد:٣٥)، قال قوم: «مثل» معناه: صفة، وهذا من قولك: «مثلت الشيء»، إذا وصفته لأحد وقربت عليه فهم أمره، وليس بضرب مثل لها، وهو كقوله سبحانه: «وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ» (النحل:٦٠) أي: الوصف الأعلى، ويظهر أن المعنى الذي يتحصل في النفس مثالا للجنة هو جري الأنهار، وأن «أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا» (الرعد:٣٥) يعني ما يؤكل فيها فهو دائم لأهلها لا ينقطع عنهم ولا يزول ولا يبيد، ولكنه ثابت إلى غير نهاية، وظلها كذلك لأنه لا شمس فيها.

«تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا» (الرعد:٣٥)، الجنة الموصوفة بالصفات المتقدمة، وهو مبتدأ خبره «عقبى» أي: تلك عاقبة الذين اتقوا الله فاجتنبوا معاصيه وأدُّوا فرائضه.

«وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ» (الرعد:٣٥)، أي: عاقبة الكافرين بالله النار وبئس القرار. (تفسير الطبري ٤٧٢/١٦)، يعني مصير المؤمنين الجنة ومصير الكفار النار.

الجنة التي وعد الرحمن عباده ليس لها في عالمنا

هذا شبيه تقاس عليه؛ لأنه ليس للعقل مجال في إدراك حقيقتها وحقيقة ما فيها مما أعده الله للمؤمنين، ولكن الله عز وجل ضرب لها مثلاً يستطيع العقل بواسطته أن يتصورها ويتصور ما فيها تصورًا يرضي غريزته، ويبعث في نفسه كوامن الشوق إليها، ويرغبه في طلبها بطاعته جل شأنه والإخلاص في عبادته.

فالإنسان بطبعه محبّ للاطلاع، فهو يريد أن يعرف كل ما هو مغيَّب عنه، ولو معرفة مجملة، فأشبع الله في نفسه هذه الغريزة، فضرب له مثلاً في سورة الرعد، يكشف له عن طبيعة هذه الدار، وما تتميز به عن غيرها من جنات الدنيا، فقال: «مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ » (الرعد:٣٥). (الأمثال القرآنية دراسة تحليلية، للدكتور محمد بكر إسماعيل ص١٤١).

فوائد الآية:

١- الأمثال الواردة في شأن الجنة من الكتاب والسنة كلها تقريب لأوصافها، وأمور الآخرة- كما هو معلوم- مغيبة عنا، وبالتالي لا يكون للعقل مجال في البحث عنها والكشف عن حقائقها إلا بالقدر الذي يسمح به الشرع، فهي أمور تُسمع من قبله، ولا تعقل إلا على وجه من التصور.

٢- قال الرازي رحمه الله: «... إنه لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة (أي المذكورة في الآية) بين أن ذلك عقبى الذين اتقوا، يعني: عاقبة أهل التقوى الجنة، وعاقبة الكافرين النار، وحاصل الكلام في هذه الآية: أن ثواب المتقين منافع خالصة عن الشوائب موصوفة بصفة الدوام». (الأمثال في القرآن لمحمد جابر فياض ص٢١٦).

٣- الواقع أن مثل الشيء أو مثاله يمكن أن ينتزع من وصف الشيء ذاته إذا ما تعذر العثور على نظير له، أما مع توفر النظير، أو المثيل، فليس هناك ما يدعو إلى العدولِ عن هذا المثيل، واتخاذ وصف الشيء ذاته مثالاً له، وجنة الآخرة تماثل جنة الحياة الدنيا وإن تميزت عنها، فهذا وجه من أوجه التفسير في هذه الآية.

٤- والغرض من ضرب المثل- فوق ما ذُكر- الترغيب في نعيمها والإشارة إلى ما يوصلهم إليه، وهو التقوى، فليس هناك وسيلة غيرها تحقق لهم ما يرجونه من رحمة ربهم، فالجنة إنما أعدت للمتقين كما صرح به هنا وفي سورة آل عمران، وفي سورة محمد صلى الله عليه وسلم.

والتقوى: هي طلب الوقاية من عذاب الله عز وجل في الدنيا وفي الآخرة باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، فهي الطاعة في أرقى معانيها وأبهى صورها، قال الله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ » (الحجرات:١٣).

٥- وفي هذا المثل- أيضًا- ما يدعو المتأمل إلى الموازنة بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، فإنه لو حاول المرء أن يقيس هذا على ذاك- لم يجد بينهما شبهًا يذكر، فيخرج بعد الموازنة بأنه لا موازنة ولا معادلة بين هذين النعيمين لو قلنا: إن في الدنيا نعيمًا، وأي نعيم هذا وهو سريع الزوال- وعندئذ يعزم المؤمن عزمًا مؤكدًا على أن يعمل عملاً صالحًا يهوّن عليه شأن الدنيا ويقوّي طمعه في تلك الجنة، التي أعدها الله لمن اشتراها بنفسه وماله، وجعل رضوان الله مبلغ همه ومنتهى أمله، وهو أكبر من نعيم الجنة وأعظم. (الأمثال القرآنية، د. محمد بكر إسماعيل).

نسأل الله تعالى أن يدخلنا وإياكم الجنة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى الشهر الماضي أثناء طباعة المجلة الأستاذ محمد رجب القراط، موجه عام العلوم والرياضيات بالأزهر الشريف سابقًا، وعم الأستاذ حسين القراط، مدير التحرير، ومعلمي وأستاذي في المرحلة الإعدادية.

نسأل الله العلي القدير له الرحمة والمغفرة، وأن يجمعنا به في مستقر رحمته.

رئيس التحرير

«فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»

إعداد/ محمد عبد العزيز

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وأصلي وأسلم على خاتم المرسلين، وإمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد، وآله وصحبه الغر الميامين.

أما بعد:

«حفظ النفس من الضرورات التي حفظتها سائر الشرائع»

فإن جميع الشرائع قد جاءت بحفظ كليات خمس منها: حفظ النفس، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك المعنى في حجة الوداع، فعن أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة: اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب شهر مضر، الذي بين جمادى، وشعبان.

ثم قال: أي شهر هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

قال: أليس ذا الحجة؟

قلنا: بلى.

قال: فأي بلد هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

قال: أليس البلدة؟

قلنا: بلى.

قال: فأي يوم هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

قال: أليس يوم النحر.

قلنا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فإن دماءكم، وأموالكم. قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا.

وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعن بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال ألا هل بلغت؟» رواه البخاري في سبعة مواضع من صحيحه (٦٧، و١٠٥، و١٧٤١، و٤٤٠٦، ٥٥٥٠، و٧٠٧٨، و٧٤٤٧)، ورواه مسلم في باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض: (١٦٧٩).

فحرَّم قتل النفس المعصومة، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال، وشدد في ذلك أيما تشديد، فلم يجعل مندوحة لأحد في تخطي هذه الحرمات الثلاث.

بل إن الله تعالى جعل قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعًا قال الله تعالى: «مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ» (المائدة: ٣٢).

قال سعيد بن جبير: من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعًا، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعًا.

وعن مجاهد في قوله: «فكأنما قتل الناس جميعًا» من قتل النفس المؤمنة متعمدًا، جعل الله جزاءه جهنم، وغضب الله عليه ولعنه، وأعد له عذابًا عظيمًا.

يقول: لو قتل الناس جميعًا لم يزد على مثل ذلك العذاب.

والعبد في عافية ما لم يصب دمًا حرامًا، فإذا أصابه ضيق عليه، فإنَّ من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله، فإن حسناته جميعها لا تفي به، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا». رواه البخاري (٦٨٦٢).

«أوّل ما يُقضى فيه يوم القيامة من حقوق العباد»:

والدماء هي أول ما يقضى فيه من حقوق العباد يوم القيامة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء». رواه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

والله تعالى قد شدَّد في ذلك العقوبة، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣).

«الحقوق المتعلقة بقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق»:

ويتعلق بقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ثلاثة من الحقوق:

حقٌّ لله تعالى، ويكفره التوبة النصوح والعمل الصالح.

حقٌّ لأولياء الدم، ويستوفونه بالقصاص، أو الدية، أو المصالحة، أو العفو.

و حقٌّ للمقتول، لا يستوفيه إلا في عرصات القيامة، فعن سالم بن أبي الجعد يقول: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فسأله عن: رجل قتل مؤمنًا متعمدًا، ثم تاب، وآمن، وعمل صالحًا، ثم اهتدى؟

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: وأنى له الهدى، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: «يُؤتَى بالمقتول يوم القيامة متعلقًا بالقاتل، يشخب أوداجه دمًا، حتى ينتهي به إلى العرش، فيقول: ربِّ سَلْ هذا فيم قتلني؟».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: والله لقد أنزلها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ما نسخها منذ أنزلها. (صحيح: رواه الترمذي (٣٠٣٨)).

«حرمة دماء المستأمنين، والمعاهدين، وأهل الذمة، والسفراء»:

والله تعالى عظم حرمة الدم (كل الدم)، سواء كان دم المؤمنين، أم دم غيرهم من: المستأمنين، أو المعاهدين، أو أهل الذمة، أو السفراء ولو كانوا لدولة محاربة.

وعن عمرو بن الحمق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما رجل أمَّنَ رجلاً على دمه، ثم قتله، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول كافرًا». (رواه أحمد: ٢١٩٩٧، والنسائي في الكبرى: ٨٦٨٧، وابن حبان ٥٩٨٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا». رواه البخاري (٣٠١١).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل معاهدًا في غير كنهه، حرم الله عليه الجنة». (صحيح: رواه الدارمي (١٤٦١)).

وعن نعيم بن مسعود الأشجعي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلمة: «ما تقولان أنتما؟» قالا: نقول كما قال.

قال: «أما والله: لولا أن الرسل لا تقتل، لضربت أعناقكما». (صحيح: رواه أبو داود (٢٧٦١)).

هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



المسلمون في بريطانيا

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد:

فما زلنا نتجول في القارة العجوز أوروبا، وفي ظل ما تعيشه أمتنا الإسلامية من مآس، واستهداف في كل أنحاء المعمورة، لذا نعرِّج في عجالة على أحوال المسلمين في تلك البلدان، نتطلع كيف يعيشون، ونبحث في أحوالهم، وما يلاقونه من اضطهاد في بعض البلدان التي يعيشون فيها جراء ما تقوم به حفنة من الأوغاد الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام ظلمًا وعدوانًا، فقتلوا واستباحوا الدماء والأعراض لم يفرقوا بين دين وآخر، معتقداتهم فاسدة، فأذكوا وأججوا الحمق والحقد على الإسلام والمسلمين، والإسلام منهم براء. واليوم نتعرف على أحوال المسلمين في المملكة المتحدة «بريطانيا».

إعداد/ جمال سعد حاتم
رئيس التحرير

الإسلام في المملكة المتحدة «بريطانيا»

يشكل المسلمون ثاني أكبر الديانات في بريطانيا، إذ قدرت أعدادهم في عام ٢٠١١م بمليونين وسبعمائة ألف في إنجلترا وويلز، أي أنهم يشكلون نسبة ٢,٥٪ من تعداد السكان في بريطانيا، ويتمركز المسلمون غالبًا في العاصمة لندن؛ إذ تصل نسبتهم فيها نحو ٣٤٪ من تعداد سكان لندن، وتعود أصول المسلمين فيها لشبه القارة الهندية، ويأتي بعدهم في العدد مسلمو الشرق الأوسط وافريقيا، وأخيرًا مسلمو ماليزيا ونيجيريا.

وفي تقرير لصحيفة الإندبندنت البريطانية في أحد أعدادها الصادرة في شهر يناير عام ٢٠١١م، أشارت فيه إلى أن عدد المسلمين في بريطانيا يتزايد بشكل ملحوظ، وأن عدد المسلمين من البريطانيين يتجاوز المائة ألف نسمة تقريبًا، وكشف التقرير عن أن عدد البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام في ذلك العام بلغ خمسة آلاف بريطاني.

وقد بدأت مجموعة من المسلمين بالهجرة إلى الولايات التابعة للمملكة المتحدة بأعداد كبيرة في القرن الثامن عشر من البنغال عن طريق شبه القارة الهندية؛ بهدف العمل في شركة الهند الشرقية البريطانية، وتم بناء أول مسجد للمسلمين في إنجلترا عام ١٨٩٩م، في منطقة «ووكينغ كان»، وفي نفس العام تم بناء مسجد آخر في مدينة ليفربول على يد عبد الله كويليام.

وتم بناء أول مسجد في العاصمة لندن عام ١٩٢٤م، والمعروف بمسجد فضل، أو مسجد لندن.

فئات المسلمين في بريطانيا

المسلمون السنة: يزيد تعداد المسلمين من السُّنة هناك عن ٢,٣ مليون نسمة؛ إذ إن معظمهم من العرب والأتراك، والصوماليين، والباكستانيين، والبنجلاديش.

الشيعة: حيث يوجد العديد من المساجد في

بريطانيا تعود لهذه الفئة الذين أغلبهم من الأزيدين، والإسماعيليين، وأصولهم قادمة من إيران والعراق وباكستان وتركيا.

الأحمدية: قدمت هذه الفئة إلى بريطانيا منذ عام ١٩١٢م.

وكانت سلمى يعقوب أول زعيم للجناح اليساري في حزب العمال، والسيدة سعيدة وارسي أول مسلمة تخدم في الحكومة البريطانية بعد ما عُيِّنت في عام ٢٠١٠م في منصب وزير بدون حقيبة، واستقالت عام ٢٠١٤م بعد صراع على نهج الحكومة البريطانية تجاه قضية فلسطين وإسرائيل وغزة.

المساجد في مدينة لندن

تعتبر مدينة لندن أكثر المدن التي يوجد بها مساجد في العالم الغربي، ويقدر عدد مساجدها بما يقارب ٤٠٠ مسجد، وهو العدد المرشح للزيادة في السنوات المقبلة، ويوجد مساجد في جميع مناطق لندن، ويعود أول مسجد في العاصمة البريطانية إلى العام ١٨٨٦م، حيث كان موقعه في منطقة «نوتنتج هل غيت»، إلا أنه لم يعد موجودًا منذ الحرب العالمية الثانية بعد هدم العديد من المباني نتيجة للحرب، وكان المسجد عبارة عن مبنى صغير اشتراه بحَّارة مغاربة يتاجرون في بيع الأسماك.

أما المساجد الأخرى القديمة ففي منطقة شرق لندن كان هناك مسجد أقامه البحارة المسلمون من اليمن وجنوب آسيا.

ويدير بعض المساجد بريطانيون من أصول مختلفة، فعلى سبيل المثال فإن مسجد سليمانية شرق لندن تديره الجالية التركية، وتدير الجالية المغربية مسجد «ستبوربارك»، ويدير مسجد شرق لندن مسلمون من أصول بنجلاديشية، ويعود العدد الكبير للمساجد في لندن لسهولة الحصول على التراخيص لبناء المساجد مقارنة بالدول الأخرى في العالم الغربي.

كما أنه تم تحويل العديد من الكنائس إلى مساجد في الفترات الماضية، حيث تم بيعها إلى جمعيات خيرية إسلامية، قامت بدورها بتحويلها إلى مساجد للمسلمين؛ نتيجة قلة المرتادين للكنائس، وانخفاض عددهم بشكل أكبر؛ نظرًا لزيادة أعداد المسلمين بشكل كبير والإقبال المتزايد من البريطانيين للدخول في الإسلام.

عمدة مسلم لمدينة لندن

ولأول مرة في تاريخ العاصمة البريطانية «لندن» يصبح «صادق خان» البالغ ٤٦ عامًا، والباكستاني الأصل محافظًا للمدينة بعد أن حصل على ٤٣٪ من أصوات الناخبين، وقد حصل منافسه «ذاك جولدسميث» المليونير الكبير من حزب المحافظين على ٣٧٪ من الأصوات، ومنذ عام ٢٠١٣م حتى عام ٢٠١٥م لمع نجم المسلم «صادق خان» سياسيًّا بين المسلمين البريطانيين، وقد آثار فوزه غضب العديد من أعضاء حزب المحافظين، كون الفائز مسلمًا. (شبكة الألوكة).

جرائم الكراهية ضد المسلمين في بريطانيا

يتجدد في بريطانيا الجدلُ الذي لا ينتهي حول اتجاه أبناء الجاليات المسلمة نحو العزلة عن المجتمع أكثر فأكثر، وخاصة في مدينة برمنجهام في حي «أكوم روك» الذي يقطنه غالبية من المسلمين الباكستانيين، نظرًا لما يتعرضون له من جرائم تنبئ عن كراهية البريطانيين لهم، فنذكر بعض المواقف للتدليل على ذلك:

المسلمون في برمنهجام، لا يشعرون بالارتياح بسبب ردود الأفعال لمقتل جندي بريطاني «لي ريجي» في لندن منذ عامين على أيدي اثنين من المسلمين البريطانيين.

مسجد قريب من منطقة برمنجهام تم استهدافه بقنبلة حارقة بعد مقتل الشرطي البريطاني، إضافة إلى مقتل عجوز مسلم أثناء خروجه من المساجد بعد الصلاة.

أصيب ثلاثة مسلمين وضابط شرطة أمام مسجد آخر في برمنجهام. ارتفعت سلسلة الاعتداءات على المسلمين إلى ٣١٨ حادثًا في عام ٢٠١١م، و٣٣٦ في عام ٢٠١٢م، وصلت إلى ٥٠٠ حادثة بحلول نوفمبر ٢٠١٣م، بينما سجلت شرطة مانشستر ١٣٠ جريمة ضد المسلمين في عام ٢٠١٣م مقارنة بـ ٧٥ في عام ٢٠١٢م، كما أنه كانت هناك ٢٦ جريمة كراهية ضد المسلمين في عام ٢٠١١م، و٢١ جريمة في عام ٢٠١٢م، و٢٩ جريمة خلال عام ٢٠١٣م، وتتنامى العنصرية بشكل تدريجي في بريطانيا.

فاللهم مكّن للإسلام والمسلمين، وانشر اللهم كلمة التوحيد في قلوب الغافلين، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العمل بالقول الراجح والنهي عن الترخص المذموم

الحلقة الثالثة

إعداد/ المستشار/أحمد السيد علي
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فما يزال الكلام موصولاً عن ذمّ الترخص ووجوب العمل بالقول الراجح في المسائل الخلافية، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٢- قول ابن قيم الجوزية:

قال الإمام ابن القيم- رحمه الله- في " إعلام الموقعين ": «كان الإمام أحمد إذا وجد النص أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه، ولا من خالفه كائناً من كان، ولذا لم يلتفت إلى خلاف عمر في المبتوتة؛ لحديث فاطمة بنت قيس، ولا إلى خلافه في التيمم للجنب؛ لحديث عمار بن ياسر، ولا إلى خلافه في استدامة المُحرم للطيب الذي يطيب به قبل إحرامه؛ لصحة حديث عائشة في ذلك، ولا إلى خلافه في منع المنفرد والقارن من الفسخ إلى التمتع؛ لصحة أحاديث الفسخ.

وكذا لم يلتفت إلى قول علي وعثمان وطلحة وأبي بن كعب رضي الله عنهم في ترك الغسل من الإكسال؛ لصحة حديث عائشة: أنها فعلته هي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلا.

ولم يلتفت إلى قول ابن عباس، وإحدى الروايتين عن عليّ أن عدة المتوفى عنها الحامل أقصى الأجلين؛ لصحة حديث سبيعة الأسلمية.

ولم يلتفت إلى قول معاذ ومعاوية في توريث المسلم من الكافر لصحة الحديث المانع من التوارث بينهما.

ولم يلتفت إلى قول ابن عباس في الصرف؛ لصحة الحديث بخلافه ولا إلى قوله بإباحة لحوم الحُمُر كذلك، وهذا كثير جداً». اهـ.

خامسًا: أقوال العلماء في النهي عن تتبُّع الرخص المذموم:

قال ابن عبد البر رحمه الله في "جامع بيان العلم وفضله": «قال سليمان التيمي: " إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله". قال أبو عمر بن عبد البر: هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً» اهـ.

وقال الذهبي رحمه الله في تذكرة الحفاظ: قال الأوزاعي: من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام. اهـ.

وقال البيهقي رحمه الله في "شعب الإيمان": قال الأوزاعي: "من أخذ بنوادر العلماء فبفيه الحجر". اهـ.

وقال الشاطبي رحمه الله في "الموافقات": «عن ابن مبارك أخبرني المعتمر بن سليمان قال: رآني أبي وأنا أنشد الشعر فقال لي: يا بني لا تنشد الشعر، فقلت له: يا أبت كان الحسن ينشد، وكان ابن سيرين ينشد، فقال لي: أي بني إن أخذت بشَرّ ما في الحسن وبشَرّ ما في ابن سيرين اجتمع فيك الشر كله». اهـ.

وقال أيضًا في "الموافقات": «فإذا صار المكلف في كل مسألة عنت له يتبع رخص المذاهب، وكل قول وافق فيها هواه فقد خلع ربقة التقوى، وتمادى في متابعة الهوى، ونقض ما أبرمه الشارع، وأخّر ما قدّمه». اهـ.

وقال بعض العلماء: «من تتبع الرخص فقد تزندق» اهـ.

وقال أبو بكر بن الخلال رحمه الله في "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر": «قال الإمام أحمد: لو أن رجلاً عمل بقول أهل الكوفة في النبيذ، وأهل المدينة في السماع (يعني الغناء) وأهل مكة في المتعة كان فاسقًا». اهـ.

وقال الذهبي رحمه الله في "سير أعلام النبلاء": «قال إبراهيم بن شيبان: من أراد أن يتعطَّل فليلزم الرُّخَص». اهـ.

وقال ابنُ حزم رحمه الله في "الإحكام": «وطبقةٌ أخرى وهم قومٌ بلغت بهم رقّـةُ الديـن، وقلَّةُ التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم في قول كلِّ قائل؛ فهم يأخذون ما كانَ رخصةً من قولِ كلِّ عالمٍ مقلدين له غيرَ طالبين ما أوجبه النَّصُّ عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم» اهـ.

وقال أبو عمرو ابنُ الصلاح- رحمه الله- في "آداب المفتي": «وقد يكون تساهُله وانحلالُه بأن تحملَهُ الأغراضُ الفاسدةُ على تتبُّع الحيل المحظورة أو المكروهة، والتمسُّك بالشُّبَه طلباً للترخيص على من يَرومُ نفعُه أو التغليظُ على من يريدُ ضرَّه، ومن فعل ذلك فقد هانَ عليه دينه» اهـ.

وقال سلطانُ العلماء العزُّ بنُ عبد السلام: «لا يجوزُ تتبُّعُ الرخص».

وسُئل الإمامُ النوويُّ في "فتاوى النووي جمع تلميذه ابن العطار": «هل يجوزُ لمن تمذهب بمذهب أن يقلِّد مذهباً آخر فيما يكون به النفعُ وتتبعُ الرخص؟ فأجاب: لا يجوزُ تتبُّع الرخص، والله أعلم» اهـ..

وقال الإمامُ ابنُ القيمِ- رحمه الله- في "إعلام الموقعين": «لا يجوزُ للمفتي أن يعمل بما يشاء من الأقوال والوجوه من غير نظرٍ في الترجيح» اهـ.

وقال العلاَّمةُ الحجَّاوي- في "الإمتاع": «لا يجوز للمفتي ولا لغيره تتبُّعُ الحيل المحرَّمة ولا تتبُّعُ الرخص لمن أراد نفعَهُ، فإنَّ تتبُّعَ ذلك فسقٌ، وحَرُمَ استفتاؤه» اهـ.

وقال العلاَّمة السفاريني- رحمه الله- في "لوامع الأنوار": «يحرُمُ على العاميِّ الذي ليس بمجتهد تتبُّعُ الرخص في التقليد» اهـ.

سادسًا: أمثلة للترخص المذموم:

١- القول بالاكتفاء بشهادة أن لا إله إلا الله للدخول في الإسلام، دون الإيمان بنبوّته صلى الله عليه وسلم.

٢- القول بجواز شرب القليل من الخمر، دون كثيره، والقولُ بجواز شرب المسكر إلا من العنب.

٣- القول بجواز التضحية بالطيور كالديوك، والبط، والدجاج، وغيرها.

٤- القولُ بجواز زواج المتعة.

٥- القولُ بصحة عقد الزواج بدون وليّ ومهر.

٦- القولُ بعدم اشتراط الشاهدين في عقد الزواج.

٧- القولُ بجواز إتيان النساء في أدبارهن.

٨- القولُ بجواز استماع الملاهي.

٩- القولُ بجواز حلق اللحية.

سابعًا: حرمة التساهل في الفتوى:

يحرُم التساهل في الفتوى بدعوى التيسير، كما يَحرُمُ استفتاء من عُرف بالتساهل، ما لم يَكُن المفتي صادراً عن دليلٍ شرعيٍّ (من الكتاب أو السنّة أو الإجماع أو القياس) منضبط.

قال الإمام الشافعي- رحمه الله- في "الأم": «لا يجوز لمن استأهل أن يكون حاكماً أو مفتياً أن يحكم ولا أن يفتي إلا من جهة خبر لازم.. وذلك الكتاب والسنة، أو ما قاله أهل العلمَ لا يختلفون فيه، أو قياس على بعض هذا، ولا يجوز له أن يحكم ولا يُفتي بالاستحسان». اهـ.

وقال النووي رحمه الله في "آداب الفتوى والمفتي": «يحرم التساهل في الفتوى ومن عُرف به حرم استفتاؤه» اهـ.

وقال ابن الصلاح رحمه الله في " فتاوى ابن الصلاح ": «لا يجوز للمفتي أن يتساهل في الفتوى، ومن عُرف بذلك لم يجز أن يُستفتى، وذلك قد يكون بأن لا يَتثبّت ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقّها من النظر والفكر، وربّما يحمله على ذلك توهمه أن الإسراع براعةٌ، والإبطاءَ عجزٌ ومنقصة، وذلك جهلٌ، ولأن يُبطئ ولا يخطئ، أجمل به من أن يَعْجَلَ فيضلّ ويُضلّ» اهـ.

وقال ابن مفلح الحنبلي- رحمه الله- في "الفروع": «يحرم تساهل مُفتٍ في الفتيا، وتقليد معروفٍ به» اهـ.

وقال في "المبدع": «يحرم التساهل في الفتيا، واستفتاء من عُرف بذلك» اهـ.

ولا يجوز الاستدلال بما ورد عن عائشة- رضي الله عنها- أن النبي- صلى الله عليه وسلم: «ما خُيِّرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّمَ بين أمرين، أحدهما أيسرُ من الآخر، إلا اختارَ أيسرَهما. ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا، كان أبعدَ الناس منهُ.» (رواه مسلم) دليلاً يبيح التساهل في الفتوى والعمل بالأسهل من أقوال الفقهاء حتى ولو كان شاذًّا، وذلك للآتي:

الأول: أنّ الاختيار واقع منه صلى الله عليه وسلّم فيما خُيّر فيه، وليس في كلّ ما أوحيَ إليه أو كُلّف به، هو أو أمّته، ومثال ذلك الاختلاف في صيَغ الأذان، وتكبيرات العيد، وما إليه حيث لا يعيبُ من أخذ بهذا على من أخذَ بذاك من العلماء؛ لثبوت الروايات بالأمرين كليهما.

والثانيَ: تقييد التخيير بما لم يكُن إثماً، ولا شكّ أنّ العدول عن الراجح إلى المرجوح، أو تعطيل (ومن باب أولى رد) ما ثبت من الأدلّة الشرعيّة إثمٌ يُخشى على صاحبه من الضلال، فلا وَجه لاعتباره من التيسير المشروع في شيء.

والثالث: أنّ التخيير المذكور في الحديث يُحمل على أمور الدنيا لا الدّين، وهذا ما فهمه أهل العلم قَبلَنا، ومنهم الحافظ ابن حجر، حيث قال رحمه الله في " الفتح ": «قولُه بين أمرين: أي من أمور الدنيا؛ لأن أمور الدين لا إثم فيها... ووقوع التخيير بين ما فيه إثم وما لا إثم فيه من قبَل المخلوقين واضح، وأمَّا من قبل الله ففيه إشكال؛ لأن التخيير إنما يكون بين جائزَين» اهـ.

والرابع: أنّ هذا الخبر ما لم يُقيّد بما سبق سيكون معارضًا باختيار النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم الأشقَّ على نفسه، كقيامه الليل حتّى تتشقق قدَماه، مع أنّ الله تعالى قد غَفَر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر. قال الحافظ في " الفتح ": (لكن إذا حملناه على ما يُفضي إلى الإثم أمكن ذلك بأن يُخيره بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض ما يخشى مع الاشتغال به أن لا يتفرغ للعبادة مثلاً، وبين أن لا يُؤتيَه من الدنيا إلا الكفاف، وإن كانت السعة أسهل منه، والإثم على هذا أمر نسبي، لا يراد منه معنى الخطيئة لثبوت العصمة له» اهـ.

ثامنًا: الحذر من أئمة الضلال:

فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أئمة الضلال، الذين يفتون للناس الأخذ بالرخص بالتلهي، وترك العمل بالقول الراجح، فيجب على كل مسلم أن يحذرهم، وأن يتقي شرهم، وألا يستمع لهم، وألا يتبع أقوالهم الشاذة التي خالفوا فيها جمهور العلماء، ولا يترخص بأقوالهم التي ينقلونها عن شواذ العلماء، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كان الناسُ يَسألونَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ، مَخافةَ أن يُدركَني، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنا كنا في جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخيرِ، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ؟ قال: (نعم). قلتُ: وهل بعدَ ذلك الشرِّ من خير؟ قال: (نعم، وفيه دَخَنٌ). قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: (قومٌ يَهْدُونَ بغير هَديي، تَعرفُ منهم وتُنكرُ). قلتُ: فهل بعدَ ذلك الخيرِ من شرٍّ؟ قال: (نعم، دُعاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ، مَن أجابهم إليها قَذَفوه فيها). قلتُ: يا رسولَ الله صِفْهم لنا، قال: (هم من جِلدَتنا، ويتكلّمونَ بألسنَتنا). قلتُ: فما تأمُرُني إن أدركني ذلك؟ قال: (تَلزَمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم). قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: (فاعتَزِلْ تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرة، حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك» (رواه البخاري).

نسأل الله الهداية والتوفيق.


الآن
المجلد الجديد لمجلة التوحيد
التوحيد
١٤٣٧ هـ
سارع باقتناء
نسختك من
المجلد الجديد
١٤٣٧ هـ
موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة
ويحتاج إليها
كل بيت
23936517

مجلة التوحيد لا غنى عنها لكل مسلم

التوحيد

44 عاماً
44 عاماً
44 عاماً

عـ 45 ـامًا

44 عاماً
44 عاماً
44 عاماً

مفاجأة كبرى



مجلدات
مجلدات
مجلدات

بـ 580 جنيه فقط

مجلدات
مجلدات
مجلدات

- اشتراك سنة مجانًا بمجلة التوحيد لمن يشتري الموسوعة.
- الكمية محدودة والعرض سارٍ حتى نفاد الكمية.
- يمكن بعد الشراء إرسال الكرتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن.

نحن بانتظاركم